من القاهرة إلى القاهرة

مقالات قصيرة

د. إيهاب سلام

هذه المقالات

هذه المقالات كتبتها إلى جريدة القاهرة وأنا في عاصمة جمهورية مصر القاهرة فكأنها من القاهرة إلى القاهرة. وهي تتنوع حسب الأحداث والموضوعات . ولا أعرف لها خطاً معينا . قد تتكلم في الفن أو التمثيل أو الأدب أو السياسة. ولا أعرف إذا كانت جريدة القاهرة سوف تتفضل بنشرها أو نشر بعضها أو حتى عدم نشرها. لذلك جمعتها في كتاب قمت بتسميته من القاهرة إلى القاهرة .

لكن ما حدث أن ليس كل المقالات أرسلت إلى جريدة القاهرة إنما هناك مقالات قد تكون أرسلت إلى جريدة الأهرام أو جريدة الوفد ونشرت أو لم تنشر لكنها من القاهرة إلى القاهرة أيضاً و الجيزة لو شئنا الدقة.ذلك تجميع لما أكتب لأني لا أستطيع أن أتوقف عن الكتابة وقد يستفيد منه البعض وقد يعرض عنها البعض الآخر . كل ما أريد أن أقوله هو أنني أرسل أفكاري إلى الناس لعلهم يستفيدون منها.أو على الأقل فيها حفظ لما أقوله أو قلته.

ريا ردت لها مكانتها

ريا القديمة اسمها نجمة إبراهيم .

وريا المتوسطة بين عهدين اسمها شادية .

فمن هي ريا الجديدة وما اسمها ؟ ..

في بداية مشوارها الفني أبهرت المشاهدين واستمرت تبهرهم ببساطتها وإتقان دورها، وهو دور البنت المغلوبة على أمرها، تلك التي تتقاذف بها الأقدار من مأساة إلى أخرى ، وتنبأ لها النقاد بمستقبل زاهر مشرق في التلفزيون ، وفعلاً أجادت وحصلت على تلك المكانة المنتظرة، سواء في ليالي الحلمية أو الشهد والدموع وغيرهما من التمثيليات المتنوعة ، لكن دورها كان يصب في دور الفتاة البائسة التي تتعرض لظروف قاسية قد تفلت أولا تفلت منها . مثلها مثل فاتن حمامة في أفلامها في الخمسينات والستينات.

ثم انتقلت إلى السينما فأثارت سخط بعض النقاد بسبب قيامها بدور المعلمة. كانت تقوم بذلك الدور وما يتطلبه من سوقية أو علو صوت إنما كانت تؤدي الدور– كما يقال – على أصوله، ومثلت دور الإسفاف بدرجة متقنة، لذلك لم يرض عنها النقاد تماماً . رغم أن البعض الآخر مجدها بسبب إتقان دورها.

كل ذلك ولم يصدر منها تعليق سواء بالقبول أو الرفض. لم تقبل مدح النقاد في زمن شهرتها التلفزيونية. ولم ترفض ذم بعضهم في زمن تمثيلها في السينما. ولم تقابل صحفياً لتشكره أو تشكو له بل استمرت على موقفها من مقاطعة الصحافة والفضائيات.

وعادت إلى التلفزيون في دور من أشق الأدوار فأبدعت. ودورها في ريا عبر عن الشر المستتر وراء صاحبه، ودور الخير الظاهر للناس. وقادت مجموعة المجرمين في حنكة وهدوء ودون ضجة أو صراخ. ونالت في النهاية حتفها . ولكن نالت إعجاب الجماهير والمشاهدين كأنها تقمصت دور السفاحة بجدارة. ريا الجديدة هي عبلة كامل . هل بهذه التمثيلية استردت مكانتها القديمة التي تركتها في السينما ؟ ..

الإبداع و الإسفاف

هل الكتابة أو الدراما عن المهمشين ممنوعة ؟ . إن عالم المهمشين - في بعض الأحيان - يكون العالم السفلي للمجتمع. عالم ملئ بالإسفاف والخروج عن الأدب ! .. وفي تمثيلية أحلام عادية عالم هؤلاء الذين فقدوا أهليتهم المدنية. عالم المجرمين واللصوص وقطاع الطرق والنصابين فهل هؤلاء لا يجوز الكتابة عنهم لأن عالمهم مملوء بالإسفاف. وهكذا يصبح من غير الجائز الكتابة عنهم في تمثيلية طويلة أو رواية طويلة.

إن عالم المهمشين تصادفه كثيراً في الطريق وفي الحياة العملية وفي مواقف الحافلات (سيارات السرفيس) حيث يتقاذف السائقون والتباعون والمنادون وغيرهم الألفاظ السوقية جهراً أو بالتورية. وتصل الألفاظ بينهم إلى أقذع الألفاظ ويتشاتمون ويتشاجرون بالأيدي فضلاً عن الألفاظ سواء على سبيل الفكاهة أو على سبيل الجد.

وتتفشى الكلمات السوقية بين عمال ورش الميكانيكا والكهرباء والنجارة والحدادة فماذا لو اقتنص المؤلف أو السيناريست أو حتى الشاعر مثل هذه المواقف المتدنية من حياة هؤلاء وكتب عنها هل نقول عنه إنه بلغ من الإسفاف شوطاً كبيراً ؟..

أعتقد أنه لو برع المبدع في تصوير حياة هؤلاء القوم ووصل إلى حد الجهر بالألفاظ والمشاهد الخارجة فذلك يكون قد وصل إلى حد الإسفاف أما لو تمكن أن يخفي ذلك الإسفاف في قالب من الحكمة والاتزان وعدم خدش الحياء فقد بلغ فعلاً حد الإبداع .

لذلك فإن تمثيلية أحلام عادية وهي تتعرض لقطاع من النصابين واللصوص والخونة والنوّر لم تخرج عن الإبداع رغم أن البعض قد يرى أن بعض المشاهد فيها إسفاف لكن لم يكن إسفافاً ممجوجاً. وليس هناك بأس من التعرض لحياة سفلة الناس مادام أن فيها عظة وعبرة لمن يعتبر.

حتى يتجنب المسئول الألم

يشعر الإنسان والشيخوخة تداهمه، أن الآلام لا تبرح جسده . آلام في الرأس وفي القدمين، وفي الأرجل أو في الكلى أو في المعدة . ويتمنى أن يودع الحياة حتى تنتهي هذه الآلام لكنه يقاوم حباً في الحياة ومتعتها والاستفادة من مباهجها . إنها غريزة حب البقاء. ويخشى أن ينتهي به الحال إلى حفرة فلا يجد متعة ولا ينعم بنعيم.

وهكذا الحكومات والمسئولون عنها. فهم إذا استمروا في الحكم مدداً طويلة أصبح من الصعب عليهم ترك الكرسي وتعصف بهم عواصف الرشوة والفساد والعنف، ويستمرون يتمسكون بالسلطة، ويتمنى المسئول في لحظة ضعف أن يترك السلطة ويخلد إلى الراحة وينتهي ما لديه من ألم ويبتعد عن جو المؤامرات والدسائس والخديعة، لكنه يستمرئ أن يستمر في السلطة، حتى يتمتع بمباهجها، وما يحيطها من دفء، وما يصل إليه من مدح وثناء يثلج الصدر.

وحتى يقطع الإنسان دابر الآلام فهو يلجأ إلى الوقاية من الأمراض أولاً ثم إذا لم تنفع الوقاية فهو يلجأ إلى العلاج. وقد يكون العلاج ناجعاً فيقطع مصدر الآلام. وإذا لم يكن ناجعاً فقد يخففها. وإذا لم يخففها فقد يعيش يتأقلم مع الآلام حتى تلفظه الحياة أو يلفظ الألم بعلاج جديد لم يكن في الحسبان. ولكنه لا يرفض الحياة مع الألم حتى يزداد متعاً وينهل من الحياة كأن هذه المتع تسكره فينسى ألمه.

أما ألم المسئول فيمكن علاجه بتحديد فترة مسئوليته فهناك من البلدان ما يجعل الوزير في وزارته مدة أربع سنوات فإذا مضت لا تجدد له إلا أربع سنوات أخرى. وهكذا لا يكون لعضو المجلس النيابي أن يتقلد المنصب إلا دورتين. ولا يجوز لأي مسئول أن يبقى مرتبطاً بمسئوليته إلا عدد معين من السنين. ويعرف المسئول أن المنصب غير دائم فيجد ويجتهد ويصنع لبلده ما لم يصنعه من يبقى إلى الأبد (والأبد هنا إما الموت أو الإقالة). ويترك المسئول المنصب وقد ترك سمعة رائحتها كالمسك. وإنجازاته يفتخر بها الكل. وتعليقات المواطنين عليه أنه لم يفكر يوماً أن يمد يده. أو يستغل نفوذه أو يسيء استعمال سلطته.

لكن ما العمل إذا استمر المسئول وبدأ يمشي في طريق وعر لأنه يعلم أن مدته قصيرة. إن الرقابة الجادة في هذه الحالة سوف تمنعه من مواصلة الاختلاس أو الرشوة أو الطمع في المال العام. وسوف تضع حداً للمسئول المستغل.

وتحديد مدة مسئولية المسئول هي حتى يتجنب المسئول الألم. ألم الشائعات والمناورات ومقالب الواقع. ألم يريد أن ينتهي ولا يستطيع أن ينهيه لأنه طامع في المزيد. وتحديد المدة في المناصب أيا كانت سوف يقضي على ذلك الطمع وهذا الألم .

إتحاد للفضائيات العربية

إذا تسنى لك أن تشاهد القنوات الفضائية العربية فلن تجد بينها تنسيق يذكر فكل فضائية لها برنامج معين قد يتعارض مع الفضائية الأخرى. فكل التمثيليات تبدأ في الساعة الخامسة بعد العصر وتنتهي في الساعة التاسعة مساء بتوقيت القاهرة إلا ما استثنى أو كان يعرض بعد منتصف الليل. ولن يتسنى لك أن تشاهد إلا تمثيلية واحدة في ساعة واحدة وسوف تفقد مشاهدة عشر تمثيليات في ذلك الوقت لو حدث بين الفضائيات تنسيق لتسنى لك أن تشاهد ثلاث على الأقل في ساعات مختلفة تريد أن تراها جميعها. وكذلك البرامج الهامة يتم عرضها كلها في وقت واحد لذلك عليك التركيز فقط على برنامج بعينه وترك البرامج الباقية قد تعاد أو تعرض على قناة أخرى أو قد يعاد عرضها في نفس القناة في زمن آخر من اليوم التالي أو بعد أيام معدودات. وبذلك لا يتمكن المشاهد المحال إلى المعاش أو ربات البيوت أن يروا عدة برامج إنما سوف تفلت منهم برامج كثيرة فكيف يمكن رؤية البرامج أو أغلب البرامج ؟ .. لن يحدث ذلك إلا إذا كان هناك تنسيق بين الفضائيات المختلفة. وقد لا يحدث ذلك التنسيق أيضاً بين الفضائيات الداخلة في نطاق الدولة الواحدة. فكيف يكون السبيل إلى ذلك التنسيق ؟ ..

لماذا لا ينشأ اتحاد بين الفضائيات العربية للتنسيق بين البرامج المختلفة حتى يمكن للمشاهد أن يستمتع بأكبر عدد ممكن من البرامج مثل البرامج الثقافية - الأخبار - التمثيليات - البرامج التعليمية - البرامج الدينية. وبذلك يتمكن المشاهد الهاوي مشاهدة ما يريد في أغلب القنوات أو مشاهدة عدد لا بأس به من تمثيليات حديثة أو يوزع وقته على البرامج في أوقات مختلفة . لا أن يضطر إلى التركيز على تمثيلية فيفوته عرض تمثيلية أخرى في نفس الميعاد على قناة أحرى. ولو تم التنسيق لرآهما معاً في أوقات متباعدة أو متقاربة دون أن يخل أحدهما بالآخر أو يتداخل أحدهما في وقت الآخر . فبالأمس كنت أشاهد فيلما على قناة اضطررت لقطعه حتى أشاهد تمثيلية مسلسلة مرتبط بها.

ولكن من يتكفل بإنشاء ذلك الاتحاد ؟ .. هل يكون تحت راعية الجامعة العربية أم أنه يكون تحت رعاية الدول المتضافرة الراغبة في إمتاع المشاهدين لبرامجها التلفزيونية وبرامج الدول الأخرى. إن ما يحدث الآن هو أن الدولة تريد أن تستأثر بالمشاهد ولا تجعله يلتفت إلى فضائية أخرى. وتلك أنانية من الدولة حان الوقت أن تنتهي. وكأنها تقول له لن تتمكن من أن تتحول إلى محطة أخرى.

التمثيليات الناطقة باللغة العربية

يبدو أن اللغة العربية ثقيلة على السمع ليس لها نصير في التلفزيون، فلم يعرض التلفزيون المصري هذه السنة تمثيلية تاريخية ناطقة باللغة العربية.

وقد اختفى أي نصير لها في الأفلام السينمائية منذ زمن بعيد بل هرب النصير لها من المسرح المصري، وأصبح التلفزيون والسينما والمسرح يدور الحوار فيها باللهجة المصرية الدارجة. ولو أن التلفزيون أفلت ببعض التمثيليات التاريخية وصارت تعرض باللغة العربية ولكن يبدو أن ذلك ماض وانقضى.

ذلك حدث في مصر، أما في سوريا المنافسة الجديدة للتلفزيون المصري فقد تم إنتاج بعض المسلسلات التاريخية والأسطورية الناطقة باللغة العربية. بينما انحسر ذلك التيار عن التمثيليات المصرية.

فما السبب ؟ ..

هل السبب هو أن الممثلين لا يجيدون الحوار باللغة العربية الفصحى ؟ . أم أن الناس تمل أو لا تطيق مشاهدة مثل هذه التمثيليات الناطقة بهذه اللغة ؟ .. أم لأن التمثيليات التاريخية تتكلف كثيراً من المال فهي تتكلف أكثر من تمثيلية عادية وكذلك تستغرق وقتاً طويلاً لإعدادها ؟ .. .. بالإضافة إلى مطالب أخرى مثل الملابس والديكورات والخيل لأن في وقت هذه المسلسلات لم يكن يوجد سيارات ولا طائرات إنما فرسان وخيول. أم أن من النادر أن يكون هناك مؤلفون لهذه الأعمال الدرامية ؟ ..

إن التمثلية الناطقة باللغة العربية هي وسيلة من وسائل تقدم البلاد وتقدم الشعوب العربية الأخرى. إن الثقافة التاريخية مهمة جداً للشعوب، إن منها تُستقي العبر والمواعظ. ومنها يمكن توجيه الشعوب إلى طريق الحضارة أو يتم تعديل الرأي العام من اتجاه فاسد سلبي إلى اتجاه سليم إيجابي، فهل يكثر المؤلفون من تأليف هذه التمثيليات ؟ .. ويجيد الممثلون ويتقنون النطق باللغة العربية الفصحى. وتعود هذه التمثيليات إلى التلفزيون ولو في كل سنة تمثيلية واحدة.

ويكون على كاتبي المسرح العودة إلى وضع مسرحيات ناطقة بهذه اللغة وليعرضها مسرح الدولة لأن القطاع الخاص لن يقبل أن تعرض فيه مسرحية جادة ناطقة باللغة العربية.

ومن ناحية أخرى يقع على المنتجين والمخرجين مسئولية إخراج وإنتاج هذه التمثيليات والمسرحيات . وإلا أفلتت منا الحضارة وتباعد عنا التقدم والطريق الرشيد. إذ أن لغتنا هي جزء من حضارتنا ومنها تقدمنا وفيها بعض من طريقنا إلى الرشاد . .

حينما تنقلب اللغة العربية

تمثيليتان مصريتان تعرضان الآن في قناتين فضائيتين. الأولى اسمها : راجعلك يا إسكندرية . والثانية اسمها أماكن في القلب . كل ما آخذه عليهما هي قلب اللغة العربية التي يتكلم بها بعض الممثلين . الأولى تستعمل فيها اللهجة الدارجة العامية المصرية المقلوبة. والثانية تضيف إلى الكلمات كلمات إنجليزية أو أمريكية مع أن الأمريكان فيها يتكلمون العامية المصرية.

الأولى يتكلم الألمان فيها اللهجة الدارجة التي كان يتكلمها في مصر الأجانب ، مع أن المتكلمين بها لم يكن بعضهم مقيماً في مصر ولم يقيموا بها أبداً وحتى لو كان البعض منهم أقام فيها فلا يمكن أن يتكلم مع الألمان هذه اللهجة الدارجة . فتلك لغة الخواجات الذين كانوا يسكنون مصر وتركوها لسبب أو لآخر. ومن يتكلمون بهذه اللهجة لم يدخلوا مصر أبداً فكيف يتكلمون بها ؟ .. ماذا يريد المؤلف أن يقول عند استعمال هذه اللهجة ؟ .. هل يريد المؤلف أن يوحي لنا أن اللهجة التي يتكلمون بها تعني أن الممثلين يتكلمون الألمانية ؟ .. أعتقد أنهم ماداموا يتكلمون فيما بينهم الألمانية فلم لا يتكلمون باللغة العربية ويعد ذلك ترجمة من الألمانية إلى العربية ؟ .. أم أن المؤلف يريد أن يوحي لنا أنه يترجم اللغة الألمانية إلى اللهجة المصرية التي كان يتكلمها خواجات مصر قبل سفرهم منها ؟ .. ولم لا يتكلمون اللغة العربية وينوه أنها ترجمة من الألمانية ؟ أم أن المشاهدين لا يتقنون اللغة العربية ويتقنون هذه اللهجة المقلوبة ؟ ..

أما التمثيلية الثانية فقد حشر فيها المؤلف الكلام باللغة الإنجليزية أو الأمريكية فما معنى أن يدخل المؤلف لغة أخرى إلى الحوار هل هي ما يسمى الواقعية ؟ .. هل يريد المؤلف أن يشعرنا أنه في أمريكا فعلاً وما فائدة ذلك ؟ ؟ .. أم أن المؤلف يريد أن يشعرنا أنه يعرف مفردات في اللغة الإنجليزية لا يجوز أن تقال على الشاشة أو تترجم ؟ .. مثل بعض التعبيرات التي ينطقها الممثلون باللغة الأمريكية مثل اسكتي أو طبعاً أو أنت عاهرة قذرة أو كل امرأة تدخل زنزانتها ؟ . .

نحن نعرف أن الأحداث تدور في أمريكا وليست في مصر فما السبب في استعمال لغة إضافية ؟ .. يذكرني ذلك بإحدى التمثيليات المدبلجة وكان حوار الممثلين باللهجة اللبنانية مع أن معظم التمثيليات من هذا النوع - تستخدم فيها اللغة العربية ؟ .. والواقع أنه لم يحدث أن أعيدت مثل هذه التجربة في التمثيليات المسلسلة المدبلجة.

المطلوب هو أن يكون الحوار بين أجنبي وعربي أو بين أجنبي آخر باللغة العربية. أما لو كان الحوار بين عربيين فلا بأس أن يكون بلغة البلد الذي منه العربيان سواء مصر أو لبنان أو سوريا أو دول الخليج. ولكن إذا كان الأجنبي يعرف اللهجة الدارجة فلا بأس أن يتكلمها مع العربي أو مع الأجنبي الذي يعرف هذه اللهجة . أما لو كان ظاهراً أن الأجنبي لا يعرف اللهجة فيكون من الأوفق أن يتكلم اللغة العربية على أساس أنها ترجمة للغة بلده بدلاً من أن تقلب اللغة العربية فتتحول الحاء فيها إلى خاء مع أنها في الحقيقة تتحول إلى هاء والشين إلى سين والعين ألفاً فيقال حينئذ أنه يتكلم اللغة العربية مقلوبة أو بلهجة دارجة. واللغة العربية تسهل على المشاهد أن يعرف ما يقوله الممثلون لا هذه اللهجة المقلوبة. ولا داعي لحشر الكلمات الألمانية أو الأمريكية في الحوار فذلك لن يفيد الدراما في شيء ولا يدل على الواقعية ولا حتى يؤكدها.

الكوميديا في الفضائيات

لاحظت في الفضائيات تمثيليتين كوميديتين تعرضان إحداهما الساعة العاشرة بتوقيت القاهرة . والأخرى تعرض الساعة الحادية عشرة بنفس التوقيت. الأولى مصرية . والثانية سورية. والحمد لله أنه بالإمكان مشاهدتهما في أوقاتهما دون أن تجور واحدة على وقت الأخرى. دون تنسيق سابق من المحطتين.

والحقيقة أن الكوميديا الأولى اسمها " مبروك جالك قلق " . ويمثل بها نجم سينمائي لكنه ليس غريباً على التلفزيون . والكوميديا التي يعرضها ليس فيها إسفاف ولو أن فيها تهريجاً أو ما يقال عنه فانتازيا .

والكوميديا السورية اسمها زوج الست. ولو أني أعرف أن كلمة الست مقتصرة على اللهجة المصرية لكن يبدو أنها مستعملة في سوريا. وهي أيضاً كوميديا راقية ليس فيها إسفاف ولو أن فيها تهريجاً أو خروجاً عن المألوف وفانتازيا .

وفي قناة أخرى تعرض كوميديا مصرية سبق عرضها في رمضان ولم أرها وذلك يطمئن المشاهد إلى أنه لو فاتته تمثيلية في رمضان فسوف يتمكن من رؤيتها في غير رمضان. وهي كوميدية بعنوان " أنا وهؤلاء ". ويبدو أن الكوميديا أيضاً في هذه التمثيلية اعتمدت على الفانتازيا والخروج عن المألوف. ولا سبيل للتعليق على هذه التمثيليات لأنها لا زالت تعرض على القنوات الفضائية.

أما الدراما في الفضائيات فهي سبق عرضها في رمضان مثل أحلام عادية أو مصر الجديدة. ولا زالت تعرض في بعض القنوات دراما " ليالي الحلمية ". مما يؤكد وجهة نظري أن التكالب على التمثيليات في رمضان لا فائدة منه ويمكن رؤية هذه التمثيليات بهدوء في غير رمضان في أوقات متباعدة ولن يمر عام إلا ونراها كلها.

ولماذا لم تعرض التمثيليات الأخرى التي سبق أن عرضها التلفزيون المصري في أوقات متأخرة من الليل أو أوقات متعارضة دون تنسيق مثل أحلام في البوابة. أم أن الفضائيات تأخذ موقفاً من المؤلف أو من المخرج أو من الممثل. إن أخذ موقف من ذلك أو تلك لا يجوز أن يدخل في إعداد برامج الفضائية لأن ذلك سوف يدخلها في صراعات ويحرم المشاهد من مشاهدة كل الأعمال التي عرضت في رمضان ثم حجبت عن المشاهدين لأسباب مجهولة. وقد يكون السبب أن الفضائية ليس لديها المال الكافي لدفعه للمنتج والموزع. ولو أني أشك في ذلك .

اللغة الحادة السريعة

مذيعتان تقدمان برنامج عن الفن السابع في إحدى القنوات الفضائية. إحداهما تتكلم باللهجة المصرية الدارجة. والأخرى تخلط اللهجة اللبنانية الدارجة باللغة الإنجليزيــة أو الأمريكيــة. المهم أنهما تتكلمان بأسرع من البرق وليس فقط أسرع من الصوت ولا يكاد المرء يتابع مــا يقولان إلا حينما تبطئان ولذلك فالمتتبع لهما بإنصات يكاد أن يفهم ما تريدان قوله. هل الشباب يفهم لهجتهما الدارجة أم أن هناك من الشيوخ - أمثالنا – من يقدر على متابعتهما ويفهــم مــا تريدان قوله ؟ ..

لا أعتقد أن أحداً يفهم ما تقولان لأن سرعتهما في الكلام جاوزت الحد. لعلهما تقلدان تلــك المذيعة اللبنانية التي لا زالت تتكلم باللغة الحادة السريعة. تقفزان من كلمة إلى كلمــة بلغــة الفميتو ثانية. كأن ذلك دليل على أنهما يحفظان ما يقولان من قبل بإجادة. أو كأنهما يصــليان تلك الصلاة الممجوجة التي يقرأ فيها المصلي الآيات بأسرع مما يتصور المرء حتى يمكن أن ينتهي منها . ليس فيها خشوع ولا ورع. والغريب أن أحداً لم يلفت نظرهما إلى هذه السرعة الغريبة في الكلام. لكن ما السبب في تلك السرعة ؟ .. ربما لأن الوقت الذي يسمح لهما ضيق للغاية - نصف ساعة على الأقل - أو أقل من نصف ساعة لأن برنامجهما يبدأ فــي التاســعة والنصف وينتهي في العاشرة وتتخلله إعلانات لمدة خمس دقائق تتكرر أكثر من مرتين.

إنهما شيقتان ليس في ذلك شك ولكن بشرط أن تفهما المشاهد ما تقولان. وجميلتــان لكــن ليس الجمال جمال الجسد فقد بدأتا في تعرية الأكتاف. ولو كان حسنهما ممتداً لعريتا أكثر من اللازم مع أن القناة الفضائية التي يطلان منها محافظة. وتصدر عن دولة معروفة بالتحفظ.

لا مانع من السرعة لكن بشرط أن تكون مفهومة ذلك لأن وقت البرنامج قصير وعليهما أن يكونا مفهومتين لا مدموغتين. ولعل نجاح البرنامج حتى الآن واستمراره معروضاً كل هــذه السنوات ليس لأنهما يتكلمان بهذه السرعة المتواصلة المذهلة إنمــا لأن ضــيوف البرنــامج يتكلمون باللغة السهلة البطيئة. ولولا ذلك لسقط البرنامج تماماً. ولما التفت إليــه أحــد مــن المشاهدين.

ولسوف ينجح البرنامج نجاحاً ساحقاً إذا تمهلتا في عرض برنامجهما وقللتا من العــرض السريع إلى العرض البطيء وأقلعتا عن هذه السرعة المذهلة في الكلام والتي يحتاج المشــاهد فيها إلى انتباه كبير لما تعرضان. وأعتقد أن المشاهد لو لم يفهمها من البداية فســوف يغيــر المحطة. وحينما يتنبه المسئولون عن المحطة أن أحداً لا يشاهدهما فسوف يلغــون البرنــامج ويشطب اسما المذيعتين أو سوف يستبدلان بمذيعتين جديدتين بطيئتين في العرض ولكن ليسا إلى درجة الملل.

نشر مقالات كبار الكتاب

نادى الأستاذ / صلاح عيسى في جريدة القاهرة في ٧ / ٢ / ٢٠٠٦ بضرورة وجود عمل مؤسسي علمي ومنظم لجميع ما تناثر في صفحات الصحف والدوريات القديمة من مقالات ودراسات كتبها أعلام النهضة العربية الحديثة.

وقد ناديت في إحدى الجرائد القومية بذلك منذ أكثر من خمس سنوات لكن الجريدة القومية لم تنشر همستي المتواضعة. كنت أحثها على نشر كتاب شهري يحتوي على كل مقالات كاتب واحد من كبار كتاب الجريدة الذين يكتبون بها بصفة دورية أو غير دورية. مقالات قد كتبها في سنة مثلاً، حتى تكون تلك الكتب زاداً للباحثين أو مرجعا للقراء في مصر وفي جميع أنحاء العالم العربي.

ولما لم تنشر الجريدة همستي المتواضعة بدأت أكون ضالتي من الانترنت حيث يتم جمع مقالات الكاتب الكبير تحت اسمه في باب البحث. ويمكن أن يضغط الشخص على اسم المقالة فتظهر له بعنوانها ومحتوياتها وكذلك تاريخ نشرها، ويمكن أن يكتفي بقراءتها أو نقلها إلى الكمبيوتر الخاص به أو إلى ديسكت يُعده لمقالات ذلك الكاتب. لكن وجدت أن ذلك سوف يكلفني الكثير . حقاً إن حجم الديسكت أصغر بكثير من حجم صفحات يمكن الاحتفاظ بها والرجوع إليها. ولا تسمع كلمة تقال لك ما فائدة هذه الأوراق التي تجمعها. أريد أن أنظف البيت منها خاصة أنها أصبحت صفراء. لكن بمرور الوقت سوف تعلو الديسكات لديك فلا تدري أين تضعها جميعاً وأين المكان الذي سوف تضعها فيه. ولو أن ذلك أهون من الاحتفاظ بقصاصات الصحف لكاتب أو أكثر من كاتب. وكلهم يهمك رأيهم وترجع إليهم من وقت لآخر.غير أن هذا المشروع لم يكتمل لدي لأني غير متفرغ له .

أما لو تم النشر في كتاب وبه المقالات التي يكتبها كاتب من كبار الكتاب فسوف يتم الاحتفاظ بها - على الأقل - في المكتبات العامة. ويمكن للباحثين والدارسين الرجوع إليها متى شاءوا. ويكون الإطلاع عليها أهون من الإطلاع على صحيفة في أعدادها المختلفة. أما لو كان الباحث والدارس قادراً على اقتناء الكتب ووجد لها مكاناً عنده فلا بأس من ذلك. ولو أنه سوف يحتاج إلى وضعها بطريقة معينة حتى لا يتوه بينها. لذلك فإن العمل المؤسسي الذي يدعو إليه الأستاذ / صلاح عيسى يجب أن يضع في اعتباره نشر مقالات كبار الكتاب في كتب خاصة على حدة لو أرادوا. أما مقالات الذين مضى على وفاتهم أكثر من خمسين عاماً فإن تجميعها ونشرها لا يخالف القانون. وحتى يتم تنفيذ ذلك المشروع فإن للمرء أن يلتقط مقالات كبار الكتاب بل وصغارهم من الانترنت سواء كان تابعاً لشركة تجارية أو للجريدة التي نشرت فيها المقالات. ولن يتكلف المرء سوى قيمة الاتصال الهاتفي فقط والديسكت الذي ينقل عليه المقالة إلا إذا قام بتخزينها في الحاسب الآلي نفسه الخاص به.

المشي بجانب الحائط

إذا كان النور والمياه وكهرباء السلم تصل إلى ما يقرب من مائة جنيه مع إيجار العين المسكونة. وإذا كانت صيانة المبنى - لو كنت مالكاً - تصل إلى ٧٥ جنيها. وإذا كان مجرد قراءة جريدة قومية وجريدة معارضة دون شراء كتب قد تصل إلى خمسين جنيها شهريا. وإذا كان كهرباء الشقة قد يتعدى المائة جنيه شهرياً بسبب ما يصل من كهرباء للثلاجة والغسالة والتلفزيون والمكواء والمدفأة في الشتاء والمروحة في الصيف. وإذا كان كيلو اللحمة البتلو يصل إلى خمسين جنيها . وكيلو اللحمة الكندوز يصل إلى ثلاثين جنيها . وإذا كانت المواصلات شهريا قد تبلغ مائة وعشرين جنيه إذا دفعت جنيهين في الذهاب وجنيهين في الإياب . أما لو كان لديك سيارة فسوف تدفع على الأقل ثلاثين جنيها في ملء التنك كل أسبوع ، فكم يتبقى لك من المرتب حتى تشتري الجبن والفول والزيت والسمن ؟ .. وماذا يمكن أن تدخر حتى تشتري ملابس للزوجة والأولاد. ولو كنت بارعاً في تنظيم النسل فقد يكون عدد الأولاد لا يتجاوز اثنين.

لا أعرف كيف يعيش الفقراء الذين لا يتجاوز مرتبهم الشهري مائة جنيه ؟ .. مؤكد أنهم يسكنون في بيوت لا تدفع ماء ولا كهرباء ولا صيانة. ومؤكد لأنهم لا يقرأون جرائد يومية أو حتى أسبوعية ولا يعرفون شيئاً عن الكتب. وقد لا يشترى رب الدار اللحم أو الدجاج أو حتى العظم. وقد لا يعطي أولاده مصروفاً وهم يذهبون إلى المدرسة ويحذرهم أن سنتهم الدراسية قد تكون آخر سنة. وهو يمشي بجانب الحائط ويوصي أولاده بذلك حتى لا يصيبهم ضرر قد يضطر بعده أن يستدين لينفق على علاج الضرر.

وهل كل الشعوب على هذه المواصفات يأملون في الله خيراً ؟ .. يعيشون - كما يقول الاقتصاديون - على حد الكفاف. هناك شعوب أخرى مستواهم المعيشي مرتفع ولا يشعرون بضائقة مالية مستمرة. وإذا كانت هناك شعوب بهذا المستوى فلم لا نسير في الطريق الذي سارت عليه حكوماتهم. أعتقد أن حكومات هذه الشعوب المرتاحة قد اتخذت طريق الإنتاج المتنوع وتسويق المنتجات لجميع أنحاء العالم طريقاً لا تحيد عنه وقامت بصرف أجور محترمة للعاملين في المصانع والمزارع والخدمات أو أمرت بذلك مما يمكن الأفراد بها أن يحيوا حياة كريمة. وأن الحكومات هناك ضربت بشدة وبيد من حديد على الفساد ومنعت الغش وقفلت أبواب الرشوة. وتركت شعوبها تعيش هذه الحياة الكريمة. يصرف فيها الفرد دون خوف على كل احتياجاته ويتمتع ويدخر.

متى نصل إلى مستوى هذه الشعوب ونتوقف عن المشي بجانب الحائط ؟ ..

إعادة الاستعمار إلى العالم

لماذا ندعو أمريكا لأن تغلق معتقل جوانتنامو ؟ .. إنه الدليل الساطع على أن أمريكا بلـــد غير ديمقراطي ولا صلة لحكامها بالإنسانية. وأن استمرار فتح ذلك المعتقل يعرضهم للعقاب الجنائي سواء بعد زوال حكم الجمهوريين أو أثناء حكمهم. فقــد يحـــدث أن يختـــار الشـــعب الأمريكي مرة أخرى حكامه من الجمهوريين فيستمرون في فتح ذلك المعتقل. وبذلك يســتمر تعرضهم للعقاب الجنائي من المجتمع الدولي. وقد كان في إمكان الشعب الأمريكي أن يختـــار رئيساً للجمهورية غير بوش فيعلن الرئيس الجديد أن أمريكا عادت للصـــواب وأنهـــا ســـوف تغادر أفغانستان والعراق وستعود من جديد داعية للحرية والديمقراطية بالطرق السلمية، لكن الشعب الأمريكي أو أغلبية ضعيفة منه رأت استمرار بوش في الحكم، واستمر الرجل لا يغير من فكره ولا يحاول أن يتوب عن أفعاله المضادة للإنسانية والمحرمة دوليـــاً طبقـــاً للقـــانون الدولي. ويبدو أن الشعب الأمريكي لا يتعظ من السوابق التاريخية، فقد هاجم جونسون فيتنـــام الشمالية، واستمرت الحرب فيها واخلفت قتلى وجرحى ومشوهين، ولولا أن نيكســـون جـــاء وأوقف الحرب وسحب القوات الأمريكية من فيتنام لاستمرت الحرب معملاً لتفـــريخ القتلـــى. تحمل الناقلات نعوشهم والجرحى تملأ المستشفيات والمشوهين يدخلون أمريكا يطالبون بأطباء نفسانيين. وكان على الشعب الأمريكي أن يتعظ من أن بوش لن يفكر أبداً في الإقـــلاع عـــن أفكاره الاستعمارية الصليبية. ولن يفكر - هو والذين معه - أن ينشر السلام في العالم ويقضي على استعمار الدول الكبرى للدول الصغرى. ولكنه جر معه حليفاً عتيداً في الاستعمار ربمـــا ليرشده إلى أحسن استعمار في العالم. ذلك الحليف هو بريطانيا العظمى - وهي لا عظمى ولا صغرى - وعادت من جديد بريطانيا إلى دائرة الاستعمار الذي كان قد انتهى من العالم فيمـــا عدا ربيبتها إسرائيل التي استمرت تستعمر بؤرة صغيرة من الأرض اسمها فلسطين وصنعت فيها ما يعرف بالاستعمار الاستيطاني لا يفكر أن يبرح المكان لأنه يتكاثر ولا يدري أي بلـــد يمكن أن تستضيفه بصفاته المقيتة ولا يفكر أن يعطي أصحاب الأرض قطعة منها يمارســـون عليها حياتهم بحرية وديمقراطية ودون تدخل أجنبي.

لكن السؤال الآن : كيف يمكن محاكمة بوش والذين معه دولياً وكذلك بلير والذين يساندونه على إعادة الاستعمار إلى العالم وارتكاب جرائم ضد الإنسانية ؟ .. هل المحكمـــة الجنائيـــة الدولية قادرة على ذلك وأمريكا ليست عضواً في اتفاقيتها ؟ .. أم أن اتفاقيات جنيـــف قـــادرة على ذلك وواضح أن أمريكا تنتهكها ؟ .. ومن الذي يجرؤ على تقديم أمريكا أو بريطانيا إلى المحاكمة ، وعادة ما يكون القوى أبعد عن المحاكمة . ولننتظر يومًا يتحول فيه القـــوى إلـــى ضعيف . واليوم آت لا محالة. حينئذ يمكن أن تبدأ المحاكمة.

النشر الإلكتروني

حينما يرتفع ثمن طبع الكتاب إلى أكثر من ألفي جنيه خاصة إذا كان من الحجم المتوسط وعدد صفحاته لا تتجاوز المائة، فإن الأديب أو الكاتب يكف عن النشر لأنه لا يملك هذا المبلغ لنشر كتاب واحد كل سنة. وإذا عرضه على ناشر ليطبعه وينشره ويوزعه فإن الناشر لن يقبل لأنه لا يحب المغامرة ولأن الكتاب قد لا يوزع نسخاً لأن أحداً لا يقرأ وليس مستعداً أن يدفع في النسخة الواحدة خمس جنيهات على الأقل. إنه مستعد أن يدفع ذلك المبلغ في سيجارة وكوب شاي على أن يدفع في كتاب.

وهكذا يتوقف الأديب أو الكاتب عن طبع كتبه على حسابه الخاص لا بسبب أن الكتاب لا يوزع فقط إنما بسبب أن الناشرين يوزعون نسخاً ولا يحاسبون المؤلفين عليها، إنما يدعون أنهم لم يوزعوا شيئاً. أو بأن الموزعين يحجزون النقود ولا يدفعونها للناشرين. والناشرون بدورهم يديرون ظهورهم للمؤلفين. فيكون الطبع بذلك خسارة من كل جهة لأن المؤلف لن يمر على المقاهي لبيع نسخاً من كتبه ولن يشترى أحداً من رواد المقاهي فعنده أن يشرب كوب شاي أو يدخن سيجارة أحسن بكثير من مجرد أن يقرأ كتاباً.

لذلك يلجأ الكُتاب اليوم إلى النشر الإلكتروني والقائمون على ذلك النشر لا يبيعون نسخاً ربما لأن لا أحداً يشتري من النشر الإلكتروني أو أن النشر الإلكتروني غير معروف أو لأن المؤلف غير معروف أو لأن أغلب الناس لم تستخدم الكمبيوتر حتى الآن أو يستخدمه كآلة كاتبة ولكن لا يعرف الطريق إلى الأنترنت.

ميزة طريقة النشر الإلكتروني هي أن المؤلف يجد كتابه معلنا عنه على الإنترنت. وأن الكتاب يظل محفوظاً لدى دور النشر. ولن يتسنى للفرد أن يشتهر بين قراء الإنترنت إلا إذا كان المطلع مغرماً بالأدب والبحث عنه.

أما المكسب فقد يأتي من سرعة الانتشار ومع تقدم الأمم وطلب مواطنيها للكتب الإلكترونية خاصة أن النشر لا يكون في نطاق ضيق إنما يشمل كل أنحاء العالم. ولكن قد لا يحدث أبداً أن ينتشر أديب أو كاتب لأن حظه كذلك أو لأن الناس لا تبتهج من كتاباته. لكن هم الكاتب سوف ينزاح لأنه أخرج مؤلفه من قبو النسيان إلى عالم الانتشار. أو أخرج مؤلفه من ظلمة الأدراج إلى نور الإعلان.

وقد لا يبقى المؤلف لا يطلع عليه أحد. لكن - دون أدنى شك - سوف يكون محفوظاً وقد تقرأه الأجيال القادمة بدلاً من أن يبقى حبيس الأدراج وبعد ذلك يلقيه ورثته في سلة المهملات ومنها إلى سلة القمامة. ولن يفكر أحد أنه كتب كتاباً هاماً أو غير هام.

وكم من كتب ألقيت في صناديق القمامة لأن الورثة لا يعرفون قدرها !! ..

الفقر يوقف النمو

لا يمكن أن يكون حل إجتثاث الفقر من جانب الفقراء لأن الفقير لا حول له ولا قوة، فــإذا كان الفقير لا يملك أن بعلم نفسه فكيف يتعلم وهو لا يتعلم لأنه لا يملك الجنيهات التي تساعده على التعليم. وإذا كان الفقير لا يملك مصاريف تدريبه على مهنة معينة فكيــف يتــدرب ؟ .. وإذا تمكن الفقير من التعليم أو التدريب وأراد أن يشق طريقه في الحياة ويجني رزقه فكيــف يجد فرصة العمل والأبواب كلها مقفلة وأين يجدها ؟ .. من أجل ذلك دعــا الفقهــاء - وهــم يجلسون في أبراجهم العاجية - أن يكون التعليم بالمجان. وأصــبح فعــلاً بالمجــان اســمياً وبالمقابل فعلياً بفضل الدروس الخصوصية والرسوم غير المنظورة . بل دعوا أن يكون طالب التدريب يأخذ مقابل على تدريبه. ونتيجة التدريب لا تتفق مع متطلبات المنشآت من مهــارات وتخصصات، لذلك لا يجد الفقير فرصة عمل تناسب ما حصل عليه من مؤهلات .

فهل من المعقول أن نطلب من أثرياء القوم أن يفتحوا المدارس لتعليم الفقراء أو المراكــز التدريبية لتدريب أولاد الفقراء، سوف نجد امتعاضا عريضا على وجوه البعض والقول بأن لا صلة له بالأمر: وأنا مالي !! .. لذلك يكون واجب على الدولة أن ترعى التعليم والتدريب وأن تحث التلاميذ على المواصلة. وتضرب على أيدي الآباء حتــى لا يخرجــوا أولادهــم مــن المدارس أو من مراكز التدريب. والنساء البالغات يمكنهن أن يقمن بأعمــال الأحــداث فــي الزراعة والصناعة والخدمات ويتركن الأولاد الأطفال يتعلمون ويتدربون.

وإذا ما تعلم الفقير أو تدرب فعلينا أن ننشئ له فرصة العمل. ونحن هنا عائدة إلى الشعب والدولة والأثرياء . فيجب ألا يكنز الأثرياء المال فلن يأخذوه معهم إلى القبــر إنمــا ســوف يتركونه لعيال تربوا على قواعدهم فلا ينفقون المال في أوجه الخير إنما على الهلس. أو تربوا على البذخ فلا ينال منهم أولاد الوطن شيئاً.

يجب على الأثرياء أن يضعوا أموالهم في مشروعات أو يضعوها في البنوك وتقوم البنوك بإقراضها لمن هم أهل لتحريك الأموال في مشروعات منتجة. وأن يكون أهل ثقة لا يتسلمون الأموال ويفرون بها إلى خارج البلاد. أما الدولة فعليها أن تقيل هؤلاء الفقراء من عثرتهم ولو تقيم لهم الأكشاك للبيع أو الورش لخدمة الجماهير أو المحلات الصغيرة والمتوسطة وتجعلهم يعملون تحت إشرافها أو إشرافها من بعيد .

ويبقى واجب على المدرسين أن يتعهدوا هؤلاء الفقراء بالدرس المفيد لا أن يبتزوا أمــوال آبائهم في الدروس الخصوصية. هؤلاء الآباء الذين لا يملكون شيئاً يذكر فيوقفون نمو الآبــاء وبالتالي يوقفون نمو الأبناء لأن - من المعروف - أن الفقر يوقف النمو. بهذه الطريقة وحدها يمكن أن ينهض الوطن وينهض أبناؤه.

التعطش للدم

لا تستغرب إذا فاز حزب كاديما في إسرائيل في انتخابات إسرائيل القادمة في ٢٨ مارس ٢٠٠٦ بمقاعد تؤهله للحكم. رغم أن رئيس الحزب ومؤسسه كان سفاحاً معروفاً قتل المئـــات في لبنان في صابرا وشاتيلا ودفن العساكر المصريين أحياء في حرب يونيه ١٩٦٧ وكســـر عظام الفلسطينيين وأغتالهم أثناء حكمه الدموي في إسرائيل . وجاء من بعده أولمرت الذي بدأ حكمه بدخول سجن أريحا بالاتفاق مع البريطانيين والأمريكان لاختطاف المجاهد أحمد سعدات لكسب بعض الأصوات في الانتخابات وحتى يقول عنه الإسرائيليون أنه بطـــل مـــن أبطـــال إسرائيل . لا تستغرب أن يفوز لأن من الناس من هم دمويون بطبعهم يحبون منـــاظر الـــدم ويهتفون لهؤلاء الذين تسيل الدماء من أيديهم.فأنظر ماذا حدث حينما مات سلوبدان ماسيلفيتش سفاح الصرب المعروف والذي قدم للمحاكمة الدولية لقد جاءوا في جنازته آلاف من ســـكان صربا يشيعونه كأنهم يودعون أيام الدم وسنوات التفرقة العرقية وقرون التصفية العنصـــرية التي يعد ميلوسيفتش راعياً لها .

ألا يدل ذلك على أن هناك من البشر من يمجدون هؤلاء السفاحين ؟ ..

لماذا يحب بعض الناس المتعطشين للدماء ؟ .. ذلك لأنهم يريدون ارتكاب هذه الجرائم ولا يستطيعون لذلك يمجدون هؤلاء الذين يقوون على اقترافها.

هناك الخير مثلما هناك الشر. ولا يمكن مهما ارتقت الإنسانية أن يكون هناك خير كامـــل. إنما لابد أن يلاحق الارتقاء الانحدار. وما تعيشه هذه الجماهير هـــو الفصـــل الأخيـــر مـــن الانحدار فهي متعطشة للدماء فتنتخب المتعطش لها. وهي مولعة بالتفرقة بين البشـــر فتمجـــد زعيم التفرقة. وهي تسعى إلى جلب كل المزايا لجنسها وانحسارها عن الأجناس الأخـــرى إلا الفتات فهم لا يبخلون بها عليهم.

إذا كان لك لديه حاجة

كيف ضمنت كونداليزا ريس أنها ستبقي في الحكم أو تبقي سياستها في الحكم حتى عام ٢٠١٠ إذ أنها ألمحت أن واشنطن يمكن أن تقبل قيام إسرائيل بترسيم حدودها النهائية في الضفة الغربية بحلول عام ٢٠١٠ بشكل أحادي الجانب. وقالت إنه من الصعب تصور إجراء مفاوضات مع حماس التي نفذت العشرات من التفجيرات الانتحارية في إسرائيل ، فكيف إذن تقبل التفجيرات التي قامت بها إسرائيل في الضفة الغربية حتى بعد خروجها من غزة دون شجب أو حتى دون اعتراض ؟ ..

وهكذا تكون كونداليزا متغيرة وكل يوم متناقضة مع اليوم السابق عليه، فقد ألمحت من قبل أن لا تتخذ إسرائيل خطوة تؤثر على المفاوضات الخاصة بالحدود وغيرها من القضايا المتعلقة بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

ولماذا لا تتفاوض مع حماس هل لأن حماس ترفض التفاوض معها أم لأنها تمثل الشعب الفلسطيني وإسرائيل لا تعترف بهذا الشعب ومن ثم لا تعترف بأن يكون له دولة ؟ ..

والولايات المتحدة الأمريكية نفسها لا تعترف بحماس ولا تعترف أنها انبثقت وتولت الحكم بإرادة الشعب الفلسطيني، رغم أنها كانت تدعو للديمقراطية . لكن في رأيها أن دعم الديمقراطية لا يعني تأييد لكل حكومة منتخبة. الديمقراطية في بلدهم شيء وعند الآخرين شيء آخر .لذلك منعت اتصالاتها بحكومة حماس . ولا تعتبرها حكومة شرعية رغم أنها منتخبة من الشعب الفلسطيني.

المهم لدى الدول الأوربية أو الأمريكية الاعتراف بإسرائيل مع أن من الممكن أن تعترف بها اليوم وحينما تنال حاجتها تسحب اعترافها بها.من أجل ذلك قطعت كندا مساعدتها المالية للفلسطينيين لأن حماس لا تعترف بإسرائيل فهل إذا اعترفت تعيد كندا من جديد ضخ المساعدات ؟ ..

لا أدري لم التصلب في الرأي من جانب حماس ؟ .. ولدينا مثل يقول إذا كان لك لدى (......) حاجة فقل له يا سيدي . فهل هذا المثل يشفع لدى حماس من أجل مصلحة الشعب الفلسطيني ؟ .. وتنال المساعدات حتي يقف الشعب الفلسطيني على قدميه ولتبدأ حماس برامج تنمية قادرة على تطوير الشعب علمياً وعملياً وتعليمياً وتدريبياً. وتخطط وتنفذ المشروعات القادرة على التنمية وخلق فرص عمل لتشغيل العاطلين الفلسطينيين.

هل غادر الجن الأرض ؟ ..

قد يكون هذا الكلام من الخيال العلمي وقد يكون مجرد تخريف. لكني استقيته من تمثيلية ملك الخواتم حينما أوحي إلى أحد الممثلين أن الجن ينوون مغادرة الأرض.وقلت فيما مضى كان يسكن الأرض الجن والأنس لذلك لا تغيب قصص الجن عن الناس. ولا يصدقون من ينكر وجود الجن على الأرض. ويصدقون أنه كانت هناك علاقات بين الجن والأنس. كانت بينهما علاقات حب وكره وزواج وطلاق وتجسد، ولكن تلك العلاقات انتهت برحيل الجن . رحل الجن عن الأرض.

كيف غادر الجن الأرض ؟ ..

إن القصص التي تروى عن الجن تؤكد أن الجن لا يعملون وأنهم لاهون وأن أعمالهم لا تخرج عن الكيد للإنسان وأنهم يغارون من الأنس لذكائه ونبوغه وقيامه بأعمال شتى. بل إن القصص لا تؤكد أن الجن يمكن أن يخترع أو يبتكر إنما يعتمد على قواه الخارقة فيمكن أن ينتقل من مصر إلى الهند في طرف عين. ويمكن أن يصنع من التراب ذهباً أو يحول من الذهب تراباً. ويمكن أن يزور النقود ويأتيك بآلاف الجنيهات بل ملايين الجنيهات لو سخره البشر. فما المانع أن يهاجر الجن من الأرض ويتركها للإنسان يعيث فيها فساداً أو يضع فيها أسس التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

لكن متى غادر الجن الأرض ؟ ..

نظراً لأن الجن يتميز بعقلية خارقة لذلك اتجه إلى الابتكار والاختراع. وقد تنبأ الجن أن الإنسان سيخوض حروباً كثيرة وسيدمر الأرض وسوف يرتكب جرائم عديدة لذلك فضل أن يهاجر من الأرض ولا يبقى مع الإنسان فيها.

لكن إلى أين ذهب الجن ؟ ..

لا يمكن أن يكون قد ذهبوا إلى كوكب بارد أكثر برودة من الأرض . ولكنهم قد يكونون هاجروا إلى كوكب حار أقرب إلى الشمس حتى يتلاءم ذلك مع أجسادهم. وهكذا غادر الجن الأرض بفضل مبتكراتهم وذهبوا لاستعمار الكوكب الموعود.

تحريم تزين الرجال بالذهب

حرم الدين الإسلامي على الرجال التزين بالذهب ولبس الحرير. وفي خطبة إحدى الجمع برر شيخ الخطبة أن السبب في ذلك هو أن الدول توزن قيمها الآن بالذهب وأن عملتها تقدر بما لديها من ذهب. فإذا تزين الرجال بالذهب فماذا يبقى للدولة ؟ .. أليس هذا التبرير ساذجاً للغاية لأن قاعدة الذهب لم تظهر إلا في القرون الحديثة ولم تكن معروفة في فجر الإسلام. وسكت الشيخ عن السبب في تحريم لبس الرجال الحرير.

أعتقد أن تحريم التزين بالذهب على الرجال هو قاعدة ألا يتشبه الرجال بالنساء ولا النساء بالرجال. فيكون الذهب مقصوراً على النساء دون الرجال وكذلك الحرير. وعلى العموم فإذا كان الرجال لا يتزينون بالذهب فالنساء يتزين به. وقد تتزين المرأة بضعف ما يمكن أن يتزين به الرجل فكأنها سوف تبتلع ما لدى الدولة من ذهب فهل حدث ذلك حتى يقول الشيخ إن الدول لن تجد ما يكفي لقاعدة الذهب.

علاوة على أن قاعدة الذهب هجرت منذ زمن بعيد من السنين. وأصبح مقدار الأمم يقاس الآن بمعايير مختلفة. منها قيمة الإنتاج ليس مقوماً بالذهب إنما مقوم بالدولار. بالإضافة إلى معايير أخرى كتوقع الحياة لدى الميلاد. أو وفيات الأطفال. أو المرضى في المستشفيات. وهي معايير لها صلة بترتيب الدول الواحدة بعد الأخرى. وليس من بينها قاعدة الذهب التي أشار إليها خطيب يوم الجمعة. وكلما زاد إنتاج الدولة وتقدم فيها أداء الخدمات دل ذلك على أنها في طريق الرقي والتقدم والحضارة.ولا صلة بما تملكه من ذهب بهذا التقدم والرقي والحضارة.

أنظر مثلاً إلى دول الخليج فإنتاجها من البترول جعلها في مصاف الدول الأولى ترتيباً ولا صلة للذهب في ترتيبها.

الغش في الفضائيات

شئ مخجل فعلاً أن تذيع قناة فضائية محترمة مسابقة ترصد لها مبلغاً كبيراً من المال، وتفاجأ وأنت تطلب الرقم الهاتفي الخاص ببلدك أن الرقم لا يرد وإذا أصررت عليه فتصل إليك رسالة صوتية تقول لك إنه خارج الخدمة. بذلك تتمكن القناة الفضائية ألا يتصل بها أحد من جهات معينة. ويفوز بالجائزة - لو كان هناك جائزة - واحد من بلاد معينة. فهل هذا عدل كما يقول الكويتيون ؟ ..

ونفس اللعبة تلعبها مع المشاهدين قناة فضائية مصرية. تذيع مسابقة وإذا أردت أن تدلي بالحل وتطلب الرقم الهاتفي فيقال لك إنه خارج الخدمة. والعجيب أن القناة تذكر اسم الفائز بعد ذلك فهل ذكر اسم الفائز كاف على الدلالة أن المسابقة لم تكن وهمية ؟ ..

ما الفائدة إذن من المسابقة إذا كانت القناة لا تسمح بالاتصال بها ولا تدفع أموالاً ولا حتى تستفيد شركة الاتصالات إذ أن الهاتف خارج الخدمة. أم أنه شغل الناس وشغل أوقات فراغهم على الفاضي. ألا يعد ذلك التصرف من قبيل الغش ؟ ..

في إحدى التمثيليات كان هناك اتفاق بين مقدم البرنامج والسائل من الخارج عبر الهاتف. وتجد السائل موجوداً بالاستديو يسأل أسئلة متفق عليها مع مقدم البرنامج، فهل هذا الأسلوب المتفق عليه لا يزال يجري في القنوات الفضائية ؟ .

أرجو إذا كان ذلك الأسلوب لا يزال متبعاً أن تقلع عنه القنوات الفضائية لأنه يعتبر من قبيل الغش. غش المشاهدين في جميع أنحاء العالم، لأن الفضائية لا تقتصر على الوطن فقط إنما تمتد إلى جميع الأوطان مادام أن القمر الصناعي يلتقطها. وهو غش من مقدمي البرامج لأنفسهم لأنهم يعرفون أن المسابقة ما هي إلا وهم يحاولون به تجميل القناة. وليس بهذه الطريقة يحدث التجميل.

الحياد الفلسطيني

كيف نطلب من المعتدي ألا يتآزر مع معتد آخر ؟ .. لقد حظـرت الإدارة الأمريكيـة أي عملية تجارية من موانيها والحكومة الفلسطينية برئاسة حماس. كما عرقلت في مجلس الأمـن مشروع بيان يدعو إسرائيل لوقف العدوان العسكري الراهن وتطلب من السلطة الفلسـطينية اتخاذ موقف علني وصريح ضد العنف. ثم يأتي بعد ذلك الرئيس الفلسطيني ليـدعو مجلـس الأمن إلى التحرك ضد رفض واشنطن مشروع البيان إلى التحرك. وتحمل مسئولياته لوضـع حد للممارسة الإسرائيلية من قصف واغتيال وحصار .

هل يصدق أحد أن أعضاء مجلس الأمن سوف يدعون أمريكا إلى رفع إسرائيل يدها عـن القصف والاغتيال والحصار الذي تقوم به ضد الفلسطينيين. إذا كانت إسرائيل معجونة بطاقة نارية. فإن أمريكا معجونة بطاقة نووية، فكيف لا تؤيد الطاقة النووية الطاقة النارية في شرها وبلائها ؟ ..

لماذا لا يأخذ الفلسطينيون عبرة من الاتحاد السويسري حينما وجـد أن الحـروب تـذهب وتجيء على أرضه فأعلن حياده ليمنع أي دولة من الاعتداء عليه. وذلك معناه وقف العنـف سواء من أرضه أو على أرضه أو من أرضه إلى أرض الغير. وبعد ذلك لا تلوم إسرائيل إلا نفسها. ويتفرغ الفلسطينيون لأعمال التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بـل السياسـية بمرور الوقت.

والتنمية الاقتصادية تحتاج إلى المال، فإذا ما أعلن الفلسطينيون حيـادهم ووقـف العنـف فسوف يبدأ تمويلهم من كل دول العالم. وبذلك يمكنهم أن ينشئوا المشـروعات التـي تصـنع فرص العمل المؤكدة ومن ثم يتمكنون من توظيف الفلسطينيين فيها. وإذا ما تمكن الفلسطيني من أن يكون له وظيفة فيمكن أن ينشئ أسرة وبيتاً ويأكل ويشرب هو وأسرته ويلـبس مـن الثياب ما يستطيع ولا يفكر في العمل خارج البلاد ولا حتى في إسرائيل نفسها. وبذلك تنهض فلسطين اقتصادياً ولا تكون في حاجة إلى إسرائيل. ولا يكون لدى إسرائيل ذريعـة للعـدوان رغم أنها مليئة بالشر ولا تتوقف عنه. حينئذ سوف تخجل من نفسها وقد تتراجع عن موقفهـا الإرهابي وهي تدعي البراءة.ولكن هل هذا يحدث من الذئاب البشرية ؟ ..

سرقة ليلية ومطبات غير واضحة

أغطية البلاعات سرقت في مدينة نصر وقيل إنها سرقت ليلاً. هكذا سمعنا وشاهدنا أن أغطية البلاعات قد اختفت وأنها صارت مكشوفة في الطريق. ويمكن أن تنحشر فيها عجلة سيارة مسرعة في الظلام. لكن الناس تعاونوا مع الحكومة في تغطية هذه البلاعات ذات الأفواه المفتوحة بعجلات كاوتش ورشق في العجلةٍ الكبيرة السميكة حجر كبير. كل ذلك لتفادي الحوادث حتى صارت مناظر الشوارع كئيبةً والوضع خطر خاصة في ظلام الليل. كيف وصل ضمير اللصوص إلى سرقة أغطية البلاعات بهذه السهولة ؟ .. ويبدو أنها ليست سرقة يقوم بها فرد إنما أفراد . ومعهم سيارة نصف نقل على الأقل فيحمل اللصوص الغطاء الزهر ويضعونه داخل السيارة ثم يبيعون الأغطية لمصانع صهر الزهر.

وإذا كان اللصوص قد صنعوا هذه المآسي فقد صنعت الحكومة - وربما الأهالي - حفرا في الطريق وتركوها أو صنعوا مطبات عالية إذا اصطدمت بها السيارة فقد تتحطم أو تفسد. أو على الأقل يصاب الركاب بالذعر.وقد يصرخون ألماً إذا كان المطب عالياً والسرعة فائقة. مع أن هناك مطبات مريحة لا تصيب السيارة بأذى ولا تصيب ركابا بالانزعاج ومرسوم عليها ما يفيد أنها مطبات.فلم لا تكون هناك هيئة للتوحيد القياسي للمطبات وتقوم برسمها بذلك اللون الأبيض والأصفر اللذين يدلان على أن السيارة سوف تصادف مطباً في هذه الجهة.

وألا توجد وسيلة لهذه الطرق الطويلة التي ليس بها مخارج ولا مداخل وليس فيها منحنيات يلف منها السائق ليعود منها إلى النقطةِ التي بدأ منها أم أنه يجب أن يقود سيارته أكثر من ثلاث أو أربع كيلومترات ليجد دوراناً للخلف. لابد أن تجد الحكومة وسيلة لهذه الدورانات التي تحفف كثيراً على السائقين مشقة القيادة.

إن الوضع يحتاج إلى إعادة نظر حتى لا يهتف الناس بألفاظ جارحة.

الإبادة الجماعية

ظاهرة الإبادة الجماعية لا تقتصر على ألمانيا حينما قيل إنها تقوم بها لتصفية اليهود. إنما هي ظاهرة بدأت في أمريكا حينما تسلل إليها نفر من سكان أوربا وبدأوا في إبادة السكان الأصليين بها وهم الذين سموهم الهنود الحمر. وحاولت أمريكا القيام بها في فيتنام وحاول رؤساء الصرب إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك لأنهم من المسلمين. ومن قبل قام الإنجليز المرتحلون إلى استراليا بإبادة سكان استراليا الأصليين وإبادة سكان نيوزيلندا. كما حاول البيض في جنوب أفريقيا إبادة الأفريقيين وكانت جنوب أفريقيا معقل العنصرية البغيضة. والآن تحاول أمريكا أن تبيد سكان العراق دون أن يتدخل جندي أمريكي في ذلك فتسمح بالإرهاب وحمامات الدم بين سكان العراق فيقتل العراقي أخاه العراقي وفي النهاية ينتهي العراقيون ويدخل الأمريكان لسيادة الأرض كاملة. إن أمريكا ستقف متفرجة في البداية على الإرهاب وهو يصفي السكان جسدياً ولن تتدخل قواتها حتى تجنب هذه القوات الاغتيال. فهذه إذن طريقة جديدة لإبادة الشعب العراقي عن طريق تقوية النعرات الطائفية. وهكذا يبيد الشعب نفسه بنفسه وبعد ذلك تُهَجر الأمريكان ليكونوا هم السكان الجدد لأرض ليس فيها شعب.

إسرائيل تقوم بنفس الخطوات في فلسطين فتقوم بإبادة الشعب بالتدريج وتقوى المنازعات بين الأحزاب المختلفة حتى يصفي الحزب المعارضين له ويصفي الحزب الآخر أنصار الحزب الأول مقابل ما اقترفوه في حق أنصارهم. وتخلوا الأرض من الفلسطينيين فتدخل أفواج من اليهود لاحتلال الأرض الخالية من السكان أو تبقى بها قلة منهم وتسودها وترغم القلة على الفرار أو الخضوع والطاعة.

المهم أن أمريكا راعية الحريات تعتم على إبادة الشعب الفلسطيني لأن صنيعتها تقوم به، ولكن تهتم بإبادة شعب دارفور في السودان وتركز الأضواء حوله. أما تركيز الأضواء على إبادة الشعب الفلسطيني فأمر غير مستحب. ويجب أن تنحسر الأضواء عنه.

إن هناك من الساسة في الغرب من يريد إبادة سكان الشرق فهل يستطيعون ؟ .. إن من الممكن تسمية ذلك الأمل بالحلم المستحيل لأن سكان الشرق يتزايدون بينما سكان الغرب يتناقصون.

جيتو وارسو

أحذر السلطة الفلسطينية من عمليات التجويع والإبادة التدريجية مثلما حدث مـــع اليهـــود أنفسهم فيما سمى جيتو وارسو . فهم ما يطبقون ما طبق عليهم من عذاب على الفلســـطينيين. فقد قام الألمان في عهد النازية بوضع مخطط لإبادة اليهود بألمانيا .من خلال صنع جيتوهات يرحل إليها اليهود وفي نفس الوقت يخرج منها أهلها الأصليون ومن أمثلة ذلك جيتو وارسو .

وقد كشف الباحثون عن زيادة معدلات الوفيات في ذلك الجيتو نتيجة التجويـــع والمـــرض وغارات الحلفاء وأحكام الإعدام. وكان الجيتو يتكون من نصف مليون نسمة. وبلغـــت فيـــه الوفيات ١٩ % من مجموع سكانه. وكان مقدراً أن يتم إبادة الجيتو في ظرف ثمانية أعـــوام دون اللجوء إلى أفران الغاز.

فهل هذه الخطة التي تتبعها إسرائيل هذه الأيام متعللة أنها لا تتصالح مع حكومة حمـــاس لأنها لا تعترف بدولة إسرائيل فتمنع عنها المساعدات وتحول دون وصول أي تبرعات إليهـــا وتمنع الفلسطينيين من العمل على أرضها. أي تقوم بخطة تجويع الفلسطينيين مما يؤدي إلـــى انتشار الأمراض والأوبئة. وبموت معظم الفلسطينيين تدريجيا دون أن يلمسهم سلاح أو تتدخل إسرائيل في اعتقالهم تؤول الأرض جميعها إليهم.

إن إسرائيل بحيلولتها دون وصـــول مســـاعدات أو تبرعـــات أو حتـــى قـــروض إلـــى الفلسطينيين. وكذلك وضع ما عليها من ضرائب ومكوس للكيان الفلسطيني تريد تجويع أهـــل فلسطين حتى يصيبهم الهزال مثلما أصاب سكان جيتو وارسو من اليهود. حيث كان الجيتـــو كياناً صغيراً متخلفاً ومن ثم تمكنت ألمانيا النازية من التحكم فيه. ولعلهم يريـــدون أن يصـــل سكان الضفة الغربية من فلسطين لتكون كياناً متخلفاً جائعاً مريضاً مليئاً بالاغتيالات. ولو أن الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الصهيونية والحضارة الغربية يرى أن الضفة الغربية كيان حضاري يعود إلى آلاف السنين ويتسم بتجذره ، الأمر الذي يجعل مصادر الحياة فيـــه متنوعة . وكل هذا يجعل التحكم فيه صعباً إن لم يكن مستحيلاً. ولو أن الإسرائيليين لن يدب في قلوبهم اليأس من التجربة ولو فشلت.

ولكن يقول في موضع آخر أن مثل هذه الجيتوهات يجب أن يلقى عليها المزيد من الضوء حينما يتم التفكير في مستقبل فلسطين والفلسطينيين. وهذا أمر يجب أن يضـــعه الفلســـطينيون نصب أعينهم .

وبهذه المناسبة كيف يسمح الفلسطينيون بدفع الضرائب للإسرائيليين ثم ترســـلها إســـرائيل إليهم بعد ذلك . لم لا تجبي السلطة الفلسطينية الضرائب وتستطيع أن تـــدفع منهـــا رواتـــب الموظفين وكذلك العمل في مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المكلفة بها الحكومـــة. ولكن يبدو أن إسرائيل تتحكم في هذا الموضوع ولا تسمح للسلطة الفلسطينية جباية الضرائب ويدفعها الفلسطينيون صاغرين. وماذا يحدث لو امتنعوا عن دفعها إلى إسرائيل ودفعوها إلـــى السلطة الفلسطينية ؟ ..

الباء الثقيلة

ذكرني الأستاذ / محمود ياسين في تمثيلية التوبة التي تعرض حالياً مسلسلة في قناة فضائية معروفة بسيدة لبنانية كانت تسخر من سيدة مصرية غير متعلمة لنطقها الباء اللاتينية والتي يقول عنها المتعلمون للغة الإنجليزية في بلادنا باء ثقيلة مقارنة بالباء الخفيفة.

الأستاذ / محمود ياسين وهو في هذه التمثيلية يمثل دور تاجر بدأ حياته معاوناً في البريد ثم تمكن أن يكون تاجراً واسع الثراء ينطق كلمة السوبرماركت بلغة إنجليزية سليمة. أي ينطق الباء الثقيلة كما ينطقها الإنجليز أنفسهم وليس باء خفيفة كما ينطقها عامة الناس. وكنت أود أن ينطقها الأستاذ / محمود ياسين في تمثيلية التوبة باء خفيفة لأنه أصلا معاون بريد لم يتعلم الإنجليزية بدلاً من نطقها كما ولدتها أمها الإنجليزية باء ثقيلة.

وقد كانت هناك سيدة لبنانية تنطق الباء الثقيلة كما ولدتها أمها الإنجليزية ولا تخلط بينها وبين الباء الخفيفة ولذلك سمعت مصرية من عامة الناس تنطق كلمة بمبرز بالباء الخفيفة فسخرت منها. وصارت تروي لكل من يقابلها عن جهل المصرية التي تنطق بمبرز بباء خفيفة مع أنها ثقيلة سواء الأولى في الكلمة أو الثانية منها . وكيف كان يتسنى لهذه المصرية أن تنطقها وهي لم تتعلم الإنجليزية وإذا قرأتها فهي تقرأها باللغة العربية الخالية تماماً من الباء الثقيلة. حقاً الكلمة تكتب باللغة العربية واللغة الإنجليزية لكنها لا تجيد الإنجليزية. وهكذا سخرت المثقفة من قليلة التعليم. وماذا لو عرفت أن هناك شعوباً لا تجيد نطق حرف v وينطقونه كما لو كان فاء عادية. مثلما ينطق بعض المثقفين برج إيفل بالحرف اللاتيني وهو يكتب بالفاء العادية f لأنه يكتب efel ولو تم النطق بالفاء اللاتينية لكان معناه الشر مع إضافة ما يصحح الكلمة بوضع I بدلا من عوليس اسم الإنسان الذي أخترع البرج في باريس.

الإنسان الرشيق

كنت في كتاباتي القديمة استعمل الكلمات غير المتداولة في اللغة مثل كلمة وذام بدلاً من كرش. (ويلاحظ أن الحاسب الآلي وضع خط أحمر تحت كلمة وذام ولم يضعه تحت كلمة كرش).وقد أقلعت عن ذلك الهوى في استعمال الكلمات القديمة غير المتداولة بعد مرور سن المراهقة.

وفوجئت بعد مرور أكثر من أربعين سنة أنني يجب أن استعمل اللفظ المتداول ألا وهو الكرش. ذلك حينما شاهدت الممثلين القدامى الذين كانوا شباباً في الماضي فقدوا لياقتهم البدنية ورشاقتهم وأصبحوا رغم ذلك كباراً في المقام ولو أنهم كبار في السن.. لقد انتفخت أوداجهم وصاروا من أصحاب الكروش. يتدلى الكرش أمامهم ويمثلون دور الرجل المتناسق الذي تعشقه النساء.

ذكرني ذلك بما قرره قديما صدام حسين رئيس جمهورية العراق المعزول بمعرفة أمريكا أن لا يتولى المنصب الوزاري وزير ذو كرش. وسمعنا أنه هدد من يرتفع كرشه أو يتدلى أن يفصل من الوزارة. بل سمعنا أنه سوف يطلق عليه الرصاص كما يطلق الجنود الرصاص على خيل الحكومة. وحتى الآن وصدام يحاكم لا يبدو أن كرشه قد ترهل أو تدلى.

لكن ذلك لا يمنع أن هناك بعض الممثلين القدامى لا يزالون يحتفظون برشاقتهم ووسامتهم. لكن كيف يمكن أن يحافظ الرجل على رشاقته والسن تتقدم به ؟ ..

الأطباء ينصحون المرء بأن يلتزم بالرياضة والبعد عن التدخين والخمر والسهر. وعدم الإسراف في الأكل خاصة السكريات والنشويات مثل المكرونة والإكثار من الفاكهة والخضراوات. ولكن من منا قادر على إتباع هذه التعليمات.

ولكن بالنسبة للممثلين فالأمر مختلف حتى يظل الممثل مقبولاً على الشاشة الصغيرة قبل الكبيرة خاصة إذا كان يريد أن يبقى نجماً فلا يترك كرشه يتدلى ويعمل على أن يسعف نفسه بأن يقلصه. غير أن الكاميرا قادرة على إخفاء ذلك العيب. غير أن بعض المصورين يتعمدون الكشف عن مثل هذه العيوب في الممثل كأن الأمر من أصول الدراما. وقد يكون الكشف عن الكرش عند التصوير أمر غير متعمد.

مسئولية المنشآت عن التدريب

قال الأستاذ / محمد سلماوي رئيس اتحاد كتاب مصر في يوم الاثنين ٦ / ٦ / ٢٠٠٦ إن محافظ سوهاج يسعى إلى الارتقاء بالمستوى الفكري والثقافي لأبناء المحافظة، فهو يصر مثلاً لدى كل من يسعى لإقامة مشروع جديد على أن يقيم إلى جواره فصولاً لمحو الأمية.

واعتقد أنه يكون مقبولاً أيضاً أن ينشئ كل صاحب مشروع جديد مركزاً للتدريب يلحق بمشروعه فمثل هذا المركز يدرب الفنيين الذين سوف يشتغلون بالمشروع على الآلات الجديدة والتقنية الحديثة التي سيستعملها المصنع في إنتاجه. ومثل هذا المركز يمكن أن يعطي جرعات قوية مكثفة لأصحاب المهن العلمية والفنية الذين سيعملون بالمشروع أو المصنع بعد افتتاحه.

إن مراكز التدريب التي ستنشأ ولا صلة لها بالمؤسسات المختلفة قد تدرب الأفراد على مهن غير مطلوبة في سوق العمل. أما المراكز التي تلحق بالمنشآت فهي تعرف مناهج تدريبها وتعرف ما تريده المنشآت بالضبط من تخصصات فتدرب عليها.

ومن خلال هذه المراكز يمكن أن نمحو أمية العمال المهنية والأبجدية أيضاً ولن يؤدي ذلك إلى زيادة الأعباء المالية على المشروع لأن من الممكن أن تكون دراسة الأجور متضمنة تكاليف تدريب العمال فتخصم تكاليف التدريب دون أن يشعروا من أجورهم فلا ينزعجون ولا يتأففون. وبذلك توفر الدولة تكاليف إنشاء مراكز للتدريب جديدة لمواجهة متطلبات سوق العمل. وتصبح سوق العمل هي التي تعلم وتدرب الأفراد على أساس اقتضاء تكاليف التعليم والتدريب من الأجور مستقبلاً.

فماذا توفر الدولة ؟ ..

توفر مدربين يتعاقدون معهم لتدريب الأفراد. توفر إيجاد فرص عمل لهؤلاء الأفراد. إذ أن المنشآت سوف تتكفل بذلك وتدرب بمقدار متطلبات العمليات الإنتاجية والخدمية بالمشروعات. وتوفر أيضاً وضع مناهج للتخصصات المختلفة لأن المدربين بمراكز التدريب في المنشآت سوف يتكفلون بذلك.

أليس جديراً بالدولة أن تجبر المنشآت التي يزيد عدد العمال بها عن خمسمائة عامل أن تنشئ مركزاً للتدريب بالمنشأة. وكذلك أن تجبر المنشآت التي تقع في منطقة واحدة ويزيد عدد عمالها عن خمسمائة عامل أن تنشئ أو تساهم في إنشاء مثل ذلك المركز وأن تعين الأفراد الذين تدربهم بهذا المركز بها ؟ ..

الزواج العرفي في الميزان

قالت الأستاذة / سناء السعيد في جريدة الوفد في ٢ / ٦ / ٢٠٠٦. عن قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فأكتبوه .. ". تريد من ذلك أن يكون عقد الزواج موثقاً (رغم أنه لم يكن هناك توثيق في صدر الإسلام). لذلك أختلف معها في هذا الصدد. فالمقصود من الآية الكريمة دين مدني فيجب أن يكون مكتوباً. أما الزواج العرفي أيام الرسول عليه الصلاة والسلام فلا صلة له بهذه الآية. لا صلة لعقد الزواج بهذه الآية. وما توثيق عقود الزواج حدث إلا في العصر الحديث حيث انتشر الغش والنصب والتحلل من الالتزامات والهروب من عش الزوجية بعد قضاء المآرب والتحلل من التوثيق بالعقود العرفية لذلك كان التوثيق لازما لدرء بعض هذه المفاسد وهي أعمال غير أخلاقية بل في بعض الأحيان إجرامية.وأعتقد أن مجمع البحوث الإسلامية قد أقر بعدم شرعية الزواج العرفي – كما تقول – على أساس أن هناك زواجاً رسميا (وليس شرعيا) يقتضي أن يكون العقد موثقاً. أما الزواج الشرعي فلم يكن في يوم من الأيام الغابرة موثقاً. ولو كان العقد العرفي مباحاً مثلما كان فيما مضى قبل العصر الحديث لأفتى المجمع بشرعيته.

لا أعتقد أن تحريم العقد العرفي وما يترتب عليه من آثار أمام المحاكم يرجع إلى نتائج الزواج العرفي المؤسفة من أطفال أبرياء وسقوط الحق في النفقة عند الطلاق أو حتى عند استمرار الزوجية فضلاً عن الشائعات التي تلاحق المرأة. إنما تحريم عقد الزواج العرفي بسبب أن الوثيقة الرسمية هي المفضلة وتثبت الحقوق كاملة.

هب لو كانت المرأة عقيماً أو قادرة على منع الإنجاب أو يمكنها أن تتجنب الشائعات، فضلاً عن أن لا أهمية عندها لأن تتقاضى معاش الزوج عند موته فألا يكون في إمكانها أن تتزوج عرفياً. المرأة التي توافق على العقد العرفي، لا تريد أن تتحمل التزامات كما أن الرجل الذي يلجأ إلى هذا العقد يطالب بحرية التحلل من الالتزام. فهل هم قلة أم كثرة ؟ .. لا توجد إحصاءات في هذا الصدد لأن العلاقة بين الرجل والمرأة – في هذه الحالة – علاقة سرية. ولا تظهر إلا حينما تطالب المرأة بميراث أو إثبات نسب أطفالها. وقد سمح القانون الجديد بسماع دعوى الطلاق في الزواج العرفي ودعوى النسب لو كان عقد الزواج مكتوباً لكن لم يسمح بأكثر من ذلك. وهذا أمر غريب. وكنت أعتقد أن ينص في القانون على قبول توثيق الزواج العرفي ولو رفض أحد الطرفين مادامت هناك وثيقة تثبت ذلك توطئة لتفعيل نتائج الزواج كالنفقة. وقد يؤدي ذلك إلى توقف إبرام عقود الزواج العرفي.

ولو أن مثل هذا النص قد يؤدي إلى إحجام الرجال والنساء عن العقود العرفية واللجوء إلى ارتكاب الفاحشة. غير أن الفاحشة موجودة سواء تم إبرام عقد عرفي أو عقد رسمي أو لم يتم إبرام عقد من أي نوع.

المذيعة المختفية

في قناة من القنوات الفضائية يحدث شيء عجيب لم يكن يحدث من قبــل فهنــاك مذيعــة مختفية لا تظهر أمام الشاشة الصغيرة تروي ما سيحدث في الحلقة القادمة من المسلسل الذي يعرض على الشاشة. وهي لا تقتصر على مسلسل واحد إنما يمتد عملها إلى بقيــة البــرامج. وكنت أظن أن وظيفتها رواية ما سيحدث في الحلقات القادمة فأتضح أنها تروي أيضــاً مــا سيحدث في الحلقة التي ستعرض على الفور على الشاشة. هل مثل ذلك التنويه مفيد للمتلقي أم أنها بلغة أهل السينما والتلفزيون سوف تحرق الحلقة المعروضة وكذلك الحلقة التــي ســوف تعرض.

وقد دأبت هذه المذيعة المختفية على حكي ما سيحدث في كل البرامج قبــل أن تبــدأ ولــم يقتصر الأمر على المسلسلات فحسب. فما السبب ؟ .. هل القناة الفضائية وجــدت أن ذلــك أسلوب ممتع. أم أن المذيعة المختفية لم يعد لها عمل فكلفتها القناة بأن تروي ما سيحدث فــي البرامج قبل بدايتها وما سيحدث في الحلقات القادمة. فهل لو استغنت القناة عن هذا الأســلوب سوف ينتهي عمل المذيعة ؟ ..

إن من الممكن أن تقدم هذه المذيعة الحلقة من المسلسل وأن تنوه عن أن الحلقــة القادمــة سوف تذاع غداً أو بعد يومين بدلاً من أن تروي ما سيحدث في الحلقتين. لأن هذه الطريقــة التي تتبعها تقابل من المشاهد بكتم الصوت حتى لا يسمع مــا ســتقول إلا إذا كــان هنــاك فضوليون يريدون أن يسمعوا ما سيحدث في الحلقة القادمة.

فإذا ما قدمت المذيعة المختفية الحلقة ونوهت عن الحلقة القادمة دون رواية أحداثهما فسوف لن تثير المشاعر من جهة وستجد لها عملاً. ولن تستغني عنها القناة.

الدمار الشامل

أشار تقرير هانز بليكس الرئيس السابق لفريق التفتيش الدولي على أسلحة الدمار الشامل العراقية التابع للأمم المتحدة أن مخزون أسلحة الدمار الشامل مازال كبيراً ومخيفاً وأنه يوجد حالياً نحو ٢٧ ألف رأس نووي في العالم.

ذلك يجرنا إلى التصديق أن يوم القيامة قريب جداً. فإذا انفجرت تلك الرؤوس بسبب من الأسباب كأن يفجرها طاغية مثل نيرون الذي حرق روما وهو يغني أو بسبب اشتعال في مخازن الذخيرة النووية أو غير ذلك من الأسباب فسوف ينتهي العالم. سوف تتفتت الكرة الأرضية وتتحول إلى نثارة في الفضاء الواسع . ولن يعيش كائن من الكائنات. وكما بدأت الدنيا صغيرة تحبو فسوف تنتهي منكمشة لا تتحرك. وهذه حال كل المخلوقات على الأرض الصغيرة والكبيرة . وإذا كان الإنسان مثلاً يبدأ صغيراً يصرخ من آلام التنفس فهو ينتهي شيخاً ضعيفاً عاجزاً يصرخ من آلام المرض ثم ينزوي ويموت. فهكذا الدنيا بدأت مليئة بالماء والهواء وخضراء تمشي في مناكبها كائنات من كل صنف ثم تتناثر في الفضاء العريض لخطأ من أحد سكانها.

بيد أن هذا التناثر قد يكون فصلاً من الفصول فهناك كواكب ونجوم تناثرت أو امتصتها الثقوب السوداء. ولا زالت هناك نجوم تجري من حولها كواكب.

المؤمنون يرون أن تناثر الكرة الأرضية هو الفصل الأخير في مسيرة الحياة الدنيا. أما غير المؤمنين فيقولون إن الإنسان يظن أنه مركز الكون وأن الدنيا سوف تنتهي بانتهائه ولكن ذلك وهم كبير. فقد تكون القدرة الإلهية تعد قوماً جدداً في كواكب بعيدة غير كوكب الأرض. هؤلاء القوم سوف ينفذون سيناريو آخر بدلاً من سيناريو الدمار والقتل وسفك الدماء والقتل والسرقة والنصب والاغتصاب، ويعيشون حياة بها سلام دائم وخير عميم وعلم عميق. قد تضع القوة الإلهية سيناريو جديداً لا يعتد بالخير والشر وهما يتصارعان. إنما قد يعتمد على الخير البحت ومن يدري فقد تكون هناك كواكب بعيدة تنفذ هذا السيناريو ونحن لا ندري.

تحريم الاختراعات الجديدة

كان الهكسوس في قديم الزمان يحاربون المصريين بالعربات التي تجرها الخيل. وبدأ المصريون على يد أحمس البطل صناعة هذه العربات، وتمكنوا من طرد الهكسوس من أراضيهم وانتصروا عليهم لأنهم حاربوهم بسلاحهم فهل ندد الهكسوس بالمصريين لأنهم اخترعوا العربات التي تجرها الخيل مثلهم ؟..

وحينما ضرب جنكيز خان أبواب خوارزم بالقنابل وقتل آلاف من الخوارزميين هل استطاع سلطان خوارزم أن يوقف المغول عن التوغل في سلطنته ؟ ..

وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية وأمر ترومان بضرب نجازاكي وهيروشيما بالقنابل الذرية هل وجد معارضة تذكر ؟ .. نعم وجد معارضة لكنها لم تكن لها تأثير في اتخاذ ترومان لقراره. هل عقد الحلفاء لترومان محاكمة واعتبروه مجرم حرب ؟ .. لا.. لم يعقدوا محاكمة فكيف يريدون اليوم أن يعقدوا محاكمة لإيران ؟ ..وهل في إمكانهم تنفيذ الحكم لو صدر ؟ .. إن القانون الدولي يحتوي على قواعد غير ملزمة للدول إلا إذا التزمت الدولة من تلقاء نفسها بها. أما لو تم التنفيذ ونجح فسوف يصفق الجميع للتنفيذ. وإذا فشل فيحاول المعتدي أن يبلع غصته ويحاول أن يخضع وينسى مثلما نسيت اليابان ضرب المدينتين بالقنابل الذرية ولم تحاول أن تطلب اعتذار أمريكا عن ذلك.فلماذا تحرم أمريكا على إيران أن يكون في مقدورها تخصيب اليوارنيوم مع أن أمريكا نفسها تخصبه ؟ وكيف سمحت للهند وباكستان أن يخترعا القنبلة النووية ويفجراها وتمنع إيران من مجرد تخصيب اليورانيوم هل ذلك حتى تشعر أمريكا أنها تسود العالم ؟.. إنها تقلد ذلك التركي صاحب القلل في أمثالنا الشعبية وهو يحاول التحكم في الناس فيأمر من امتدت يده إلى قلة أن يتركها ويشرب من الأخرى.

لعل أمريكا تخشى أن تستعمل إيران القنابل النووية ضدها فتتلاشى من الوجود بينما تبقى إيران. أو تتراجع عن كونها دولة عظمى بينما إيران تتقدم.الواقع أن أحداً لم يمنع أمريكا من تخصيب اليوارنيوم ومن صنع القنابل الذرية والنووية فمن يبيح لها أن تمنع الآخرين من ذلك ؟..

إذا كنا نرفض أن يكون لدى إيران قنبلة ذرية أو نووية فإننا نرفض أن تكون لدى إسرائيل مثل هذه القنابل بل لدى أمريكا وغيرها كذلك.ولكن هل نحن قادرون على منع هذه الدول الكبرى من صناعة الدمار وتصديره لنا ؟

اتحاد الأمم

تُستفتى الجماهير في انسحاب العرب من الأمم المتحدة. ولكن لماذا لا يستفتون في طــرد الدول الكبرى من الأمم المتحدة على اعتبار أنها دول غير محبة للسلام.

بريطانيا رأس الاستعمار في العالم تؤيد أمريكا في حربها ضد العراق بل تغزوها معها.

أمريكا تغزو العالم من خلال نظرية محاربة الإرهاب. والغزو ضد السلام فهــل لا يعــد غزوها للعراق عدواناً على مبادئ الحرية وسيادة الأمم ؟ ..

وتحريض إسرائيل على غزو لبنان ألا يعدها من الدول غير المحبة للسلام ؟ ..

وفرنسا تتظاهر بأنها مع الحرية والإخاء والمساواة لكنها تقف موقفاً سلبياً مــن العمليــات الحربية وحينما تتهدم لبنان تطالب بوقف إطلاق النار.

الصين قد تكون ضد الحرب لكنها لا تتحرك أيضاً وتقف موقفاً سلبياً مثل فرنســا وهكــذا روسيا أيضاً.

فهل تستحق تلك الدول أن تحكم العالم وأن تقوده وأن يكون في يــدها حــق الاعتــراض (الفيتو) ؟ ..

وإذا ما طردت هذه الدول الكبرى من الأمم المتحدة فيترتب على ذلــك أن تنتقــل الأمــم المتحدة من نيويورك بأمريكا وتنتقل منظماتها من فرنسا ومن بريطانيا ومن روســيا ومــن الصين لو كانت بها منظمات تابعة لتلك الأمم. وتستقر في دولة محبة للسلام مثل سويســرا . ولا تدخل في الأمم المتحدة دولة تكره السلام مثل إسرائيل ولو أنها تدعي أنها محبة للســلام لكن أفعالها تكذبها. لقد قامت إسرائيل على الاغتصاب اغتصاب أرض فلسطين. واستمرت في الحروب ابتداء من عام ١٩٤٨ حتى الآن في ٢٠٠٦ أي ٥٨ سنة من العدوان الآثم.وإذا كانت هناك دولة لها شبه بدولة إسرائيل فلا تدخل الأمم المتحدة الجديدة.لكن هل تستطيع مثل هــذه الأمم أن تدير وتقود العالم . أعتقد أنها قادرة ولن يكون عليها ضغوط من دولة كبــرى مثــل أمريكا.والملاحظ أن الأمم المتحدة تزدحم بموظفين من جنسيات مختلفة. ولن تتعــرض إلــى وقف تمويل مثلما حدث من أمريكا.

وتقرر الدول المنضمة أن يؤول كل ما تملكه الأمم المتحدة الجديدة إليها. وعلينا أن نسميها اسماً جديداً حتى لا يختلط الجديد بالقديم وليكن اتحاد الأمم.

رفع سعر الجرائد

رفعت الجرائد القومية ثمن بيع العدد الأسبوعي من جنيه إلى جنيه وربع الجنيه. وإذا تصفح المرء العدد الأسبوعي لوجد فيه ٢٤ صفحة إعلانات و٢٨ صفحة ملحق بالجريدة أي ٥٢ صفحة من ٧٢ صفحة. وذلك معناه أن هناك عشرين صفحة هي التي يمكن قراءتها. ومعناه أيضاً أن الجريدة تتقاضى ثمن الإعلانات من المعلنين وفي نفس الوقت تتقاضي زيادة من المشتري للجريدة فكأنها تتقاضي القيمة مرتين.

أين هذه الجرائد من تلك الجريدة التي توزع مجاناً على البيوت وتمتلئ بالإعلانات فكأن الإعلانات هي التي تمولها فهل قيمة الإعلانات الكثيفة التي تملأ الجرائد القومية لا تكفي لتمويل الجرائد المذكورة ؟ .. أم أن قيمة الورق والأحبار – كما ادعت الجرائد القومية – هي السبب في زيادة قيمة بيع العدد الأسبوعي ولا تكفي قيمة الإعلانات لتغطية تكاليف الورق والأحبار ؟ ..

بطبيعة الحال سيقف واحد ويقول: إيه يعني خمسة وعشرين قرشاً زيادة ؟ .. هل هي معضلة ؟ .. الواقع أن الزيادة في سعر سلعة يجر معه زيادة في أسعار باقي السلع. وإذا استمر الحال على ذلك فلن يتمكن الفقير من أن يعيش عيشة كريمة. ولن يتسنى له أن يقرأ الكتب ولا حتى الجرائد. ولن يستطيع أن يعالج نفسه أو أولاده لأنه لا يملك ثمن الأدوية خاصة الشيوخ من الفقراء. أي أن الحال سوف يتدهور بالمصريين، ولا تجد كلمة تقال إلا كان الله في عونهم.

إذا لم نجد حلاً في هذه الزيادة المتواصلة في أسعار السلع والخدمات فسوف نصاب بنكسة كبيرة سيموت فيها كثير من الأطفال. وسيفني الشيوخ. ولن يبقى على وجه الأرض سوى الأغنياء لكن هؤلاء لن يجدوا من يعاونهم في زيادة ثرواتهم لأن أغلب الناس سوف يكون إما جاهلاً وإما مريضاً وإما لا يقوى على العمل.

إن الزيادة في الأسعار يجب أن تكون طبقاً للنظريات الاقتصادية بأن لا زيادة إلا إذا زادت إنتاجية العمل. ولن تزيد إنتاجية العمل إلا إذا تحسنت مستويات مهارة العمال وإتقان العمل وإنتاج سلع ذات جودة مرموقة. ولن يحدث ذلك إلا إذا كثف تدريب العمال في كل المجالات والأنشطة على إتقان العمل.

ملكيون أكثر من الملك

حينما قال الأمين العام المساعد للمحامين العرب في برنامج في قناة فضـــائية أن رجــال التربية والتعليم ملكيين أكثر من الملك لم يكذب. فقد تناول الرئيس حسني مبـــارك موضـــوع الطالبة آلاء فرج الطالبة بالسنة الأولى بمدرسة شربين بصدر رحب. ولم يأمر بفصلها. ولــم يأمر بإعادتها السنة الدراسية. ولم يأمر بدخولها دور ثان في اللغة العربيـــة. ونجحـــت آلاء بحصولها على ٤٤ درجة من ٦٠ درجة في اللغة العربية. وانتقلت إلى السنة الثانية الثانوية.

وكما قالت المذيعة اللامعة إذا كانت آلاء قد تجاوزت في موضوع الإنشاء وانحرفت عـــن الخط المستقيم فلم لم يقم المصحح بإعطائها تقدير صفر وصحح بقية ورقة الإجابة.

لم هذا العقاب غير المناسب للمخالفة ؟ ..

نتعلم في كلية الحقوق أن العقاب لو كان شديداً لا يتناسب مع الجرم الذي ارتكبه الفاعـــل فإن ذلك العقاب يكون قاسياً وظالماً. وذلك مثل عقاب الصحفي بالسجن لجريمة مـــن جـــرائم النشر. وحتى تشديد العقوبة بوضع غرامة مالية عالية على الصحفي لن يفيد لأن الصحفي لن يكون في مقدوره أن يدفع الغرامة فيتم حبسه مقابل عدم دفع الغرامة المالية.

كان من الممكن في حالة التلميذة التي كتبت موضوع إنشاء لم يعجب السيد المصـــحح أن يقدر لها درجة وبعد ذلك يلفت نظرها إلى ضرورة ألا يكون موضوع الإنشـــاء فيـــه بـــذاءة مستقبلاً دون أن تحدث هذه الضجة الكبيرة في الإعلام.

أعتقد أنه خلال السنوات الدراسية المختلفة يكون من واجب المدرســـين تـــذكير التلاميـــذ والطلاب مراعاة الآداب العامة والنظام العام في كتابة مواضيع الإنشاء. ويتم لفت نظـــرهم إلى ما ينص عليه القرار الوزاري رقم ٤١ الصادر سنة ٢٠٠٠ في مادته الرابعـــة حتـــى لا يحدث أن ينحرف تلميذ أو طالب في مواضيع الإنشاء.

ومادام أن رجال التربية والتعليم يصرون على تطبيق تلك المادة بحذافيرها حتى لـــو أدت إلى هدم مستقبل جيل بأسره فأهيب بالمحامين الذين كانوا سيدافعون عن آلاء أن يطالبوا بعدم دستورية هذه المادة حتى لا يتخذها رجال التربية والتعليم وسيلة لفصل التلاميـــذ أو إعـــادتهم للسنة الدراسية أو حتى إعادة الامتحان في المادة التي شطحوا فيها. وذلك لمخالفة هذه المـــادة لحرية التعبير وهي حرية تمارس سواء داخل المدرسة أو خارجها.

تزاحم التمثيليات

لهواة التمثيليات في شهر رمضان أقول لهم القول المشهور: لن تغمض أعينكم. فهناك في قناة خمس تمثيليات. وفي قناة أخرى خمس أخريات. وفي قناة ثالثة أكثر من تمثيليـــة. غيـــر العشرة المبشرات في رمضان في القنوات المحلية أي أن المجموع أكثر من اثنتين وعشـــرين تمثيلية. وما خفي كان أعظم.

استطعت أن احصر في قناة فضائية عرض لتمثيلية اسمها أحقاد خفية يقـــوم علـــى رأس الممثلين فيها الممثل المرموق بسام كوسا وهو لمن لا يعرفه سوري. وأحلام لا تنـــام تمثيـــل إلهام شاهين وآخرين. وتمثيليتان كويتيتان واحدة اسمها حمرة غضى . وقد يكون الغضى من غض البصر. وأخرى اسمها عتيج الصوف. ربما نسبة إلى عتيق أي قديم. وبلا رحمة أيضاً تمثيل زينب العسكري.وقد تكون تمثيلية قطرية.

أما القناة الثانية ففيها سكة الهلالي ليحيى الفخراني. وغالباً ما تعرض له هذه القناة تمثيلية جديدة في شهر رمضان. ولنور الشريف منافسة معه على نفس القناة تمثيلية اسمها حضـــرة أبي المتهم. ثم لحياة الفهد الفرية. وهناك تمثيلية باسم الرحي .وقد اختلط على الأمر فهل فـــي هذه القناة تمثيلية لصلاح السعدني اسمها حارة الزعفراني أم في قناة أخرى.

وفي قناة ثالثة تجد تمثيلية اسمها خالد بن الوليد وهي تمثيلية دينية. وأخرى اســـمها بـــاب الحارة سورية المنبت.

هذه على الأقل تأخذ من المشاهد عشر ساعات أو أكثر، فماذا يتبقى من اليوم ومتى يـــرى المشاهد البرامج الأخرى في القنوات المختلفة. وقد تتداخل البرامج مع التمثيليات بعضها مـــع البعض الآخر فيضطر المشاهد إلى الاستغناء عن جزء من تمثيلية ليرى تمثيلية أخرى إلا إذا كان من هواة رؤية التمثيلية كاملة فلا يرى إلا واحدة ويؤجل رؤية الأخرى إلى ما بعد شـــهر الصيام.

ومعنى ذلك أن يجلس المشاهد أمام التلفزيون ليشاهد التمثيليات وينتقل من قناة إلى أخـــرى ولا يتعبد ولا هم له إلا أن يأكل ويشاهد ويصلي بعد انتهاء التمثيلية. وقد يتمكن من فعل ذلك أصحاب المعاشات لكن هؤلاء الذين لا يزالون يعملون فماذا يفعلون ؟.. لا شك أنهـــم ســـوف ينفضون عن رؤية التلفزيون. فلمن تنتج هذه القنوات الكم الهائل مـــن التمثيليـــات والبـــرامج وتتزاحم في رمضان. أعتقد أنه لو أنتجت كل قناة أو أنتج لها تمثيلية أو أثنين فـــلا بـــأس إذا عرضتهما في رمضان أما أن ينتج لها هذا الكم الهائل من التمثيليات فذلك أمر خطير ومؤشر غريب. وأنا أعلم سلفاً أن مؤلفي التمثيليات سوف يقولون لي: وأنت مالك؟ ..

التهذيب

ماذا ينتظر من شخص لا يدين بالإسلام ؟ .. هل سوف يثني عليه أو يمتدحه أو يقول عنه إنه الدين الحق ؟ .. أم سوف يتهجم عليه أو يذمه أو على أقل تقدير يشيح عنه؟ .. بـل قـد يدعو الناس ألا يدخلوا أفواجاً في هذا الدين ؟ .. لننظر ماذا فعل سادة قـريش حينمـا ظهـر الإسلام. إن أول ما قالوا فيه إن القرآن الكريم من تأليف إنسان . فهل كف الخارجون عـن ذلك الدين في ذلك القول ؟ .. وقال البعض إن الإسلام انتشر بحد السيف فهل هناك كافر يمكن أن يدين بدين لا يقتنع به حتى الممات لأن السيف مسلط عليه. وينتقل هذا الإيمان من جيل إلى جيل؟ .. والسيف لا يزال مسلطاً على الرقاب ؟ .. لننظر ماذا حدث في الأندلس. لقد أجبـر المسلمون على اعتناق المسيحية بحد السيف فما هي حجة البابا في ذلك ؟ .. هل هي عـودة للإيمان أم أن المسيحية انتشرت عن اقتناع أم أن الناس أجبروا على اعتناقهـا. إن التظـاهر بالإيمان لا يمكن أن يستمر طول العمر ولا يمكن أن ينتقل من جيل إلى جيل بحد السيف.قـد يقال إن الناس آمنت في الحالتين ليس بحد السيف إنما آمنت اتقاء للهلاك. ثم وجدت أن فـي ذلك الدين ما يحقق أغراضها فاستمرت تنهل منه.

لذلك يبدو أن حوار الأديان ليس منه فائدة تذكر فلا يمكن للإنسان أن ينتقل من دين إلـى آخر بالحوار وإنما بالاقتناع. ولن يقتنع أحد بسهولة من جراء الحوار. إن أتباع كل ديـن لا يمكنهم التحاور في المسلمات لديهم وسوف يتمسكون بدينهم. لن يقود الحوار إلى الاقتناع إنما سوف يقود إلى التهذيب. التعامل بأدب بشأن مسائل الأديان.

التهذيب هو أن أتكلم عن معتقدات الآخرين باحترام. لا أسفه رأيهم ولا أحاول أن ادعـي عليهم. ولا أخلط بين مبادئهم وبين تطبيقاتها.

فمثلاً التذكير بما حدث في الماضي لا يفيد الطعن في دين في الوقت الحاضـر. الطعـن يكون فيما يحدث في الحاضر.

تعالوا نتحاسب عما يحدث في الوقت الحالي. المسلمون لا حول لهم ولا قوة وطيبـون ولا يستعمرون بلاد أحد. أما المسيحيون الآن فإن منهم من يتهجم على الإسلام ويحتلون العـراق وأفغانستان. ويبيدون أهل البوسنة والهرسك. ويحاولون إشعال الفتن بين اليهود والمسلمين في فلسطين بل وفي لبنان بدلاً من التهدئة وإجراء المفاوضات والدعوة إليها. فماذا يقول البابا في هؤلاء ؟ .. اعتقد أنه يمتدحهم ولا يشجب أعمالهم.

سكة المؤلف

هل يصح من المؤلف أن يتعدى الواقع؟ .. إن تمثيلية سكة الهلالي فيها تأليف جديد للواقع. ففي هذه التمثيلية يطلب الدكتور الهلالي تعمير المستشفي بكفر أصالة بالأثاث والأدوية فيستجاب له تقوم الحكومة بتوريد كل الأثاث والمعدات والأدوية فهل ذلك الأمر واقعي ؟ ويطلب كذلك بالنسبة للمدرسة الابتدائية فتتم الاستجابة بأسرع مما يتصور لا تلكؤ ولا تأخير. أما أن يرصف رجل أعمال طريق طويل من القاهرة إلى ما يسمى كفر أصالة فذلك أمر لم نعهده أبداً من رجال الأعمال.

ومسألة اتهام الدكتور مصطفى الهلالي بأنه مزور شهادة الثانوية العامة فأمر غير واقعي جديد في التمثيلية، فالذي حدث أن الدكتور يقرر أمام وكيل النائب العام أنه لم يزور وإنما الذي زور أبوه فلا جرم وقع منه إنما الجرم وقع من أبيه فيصدقه وكيل النائب العام ويحفظ التحقيق فالأمر غريب بالفعل. لم يحقق وكيل النيابة الواقعة ولم يفحص السجلات ولم يناقش الموضوع ربما لفوات أكثر من ثلاثين سنة عليه. بل لم يناقش وكيل النائب العام مقدم الشكوى ربما يكون هو المزور وربما هو ادعاء من مقدم الشكوى ذاته وكيف إذا برأت النيابة الدكتور مصطفى الهلالي فينعقد مجلس الجامعة ويفصل الدكتور دون مناقشة أو استجواب أو فحص للأوراق هل لمجرد أن أحداً أذاع أنه زور الشهادة الثانوية وقدم شهادة الثانوية العامة مبين بها تزوير يصدقه مجلس الجامعة ويقرر مجلس الجامعة طرده من الجامعة دون تحقيق أو تمحيص لماذا لم يتأكد مجلس الجامعة من أن شهادة الثانوية العامة مزورة ربما من تقدم بالشكوى هو مزور الشهادة المزورة وأن الشهادة صحيحة. هل وصل الحال في مصر إلى هذه الدرجة من السذاجة ؟ ..

بل جاء قرار لجنة الانتخابات باستبعاد الدكتور مصطفي الهلالي من الانتخابات أكثر سذاجة. وثابت أن واقعة التزوير ارتكبها أبو الدكتور مصطفي وليس الدكتور نفسه ومضى عليها أكثر من ثلاثين سنة (وهي مدة التقادم في الجنايات التي يحكم فيها بالإعدام) بل لم تتأكد اللجنة من صحة التزوير ووقوعه من جانب المرشح مع أنه ثابت أن المرشح نفسه لم يزور. ولعل ذلك ما حدا بالمؤلف أن ترفع عقيلة الدكتور دعوى – وهي محامية – تطالب به بإلغاء حكم اللجنة أمام مجلس الدولة.وكسبت القضية . ولم يسأل المؤلف نفسه هل من السهل تزوير شهادة الثانوية العامة بهذه الطريقة الساذجة يطلب الأب من والد رضوان الكومي أن يزور فيزور. والغريب أن لجنة الانتخابات حينما قررت أن تستبعد الدكتور من الانتخابات لم تستجوبه ولم يمتثل أمامها ولم تناقش الموضوع معه فهل وصلت السذاجة باللجنة أن تفعل ذلك ؟

وتبدو القصة مختلقة ليس فقط في أن الشهادة مزورة وإنما في قرار النيابة حفظ التحقيق دون تحقيق ودون ثبوت واقعة التزويرأو عدم التزوير. واتخاذ مجلس الجامعة قراره دون تحقيق واتخاذ لجنة الانتخابات قرارها دون تحقيق كأن الدنيا في مصر فوضى. لا أعتقد أنها سكة الهلالي إنما اعتقد أنها سكة المؤلف يلوي الأحداث لكي يصل إلى نهاية معينة يريدها.

المفتري والفقير

تمثيليتان كانتا من الممكن مشاهدتهما في رمضان. واحدة قبل المغرب وهـي المنـادي . والثانية قبل منتصف الليل وهي حدائق الشيطان. وكلاهما يدوران حول صراع الغني المفتري والفقراء. وفي كلتا التمثيليتين لا يوجد إلا غني واحد وفقير واحد يقف ضده. الأول كان غنياً بالاغتصاب. والثاني كان غنياً بالاتجار في المخدرات. والأول كان له حارس يحرسه كظله. ولم يختلف الثاني عنه إلا في قلة أدبه معه. والغريب أن يمثل رياض الخولي الطاغيـة فـي التمثيلية الأولى. ويمثل دور الفقير مكافح ظلم المفتري في التمثيلية الثانية.

استمر الصراع بين الغني والفقير عدة حلقات ثم خبا وانشغل المشاهد بالغولة والولد الـذي لا أهل له في حدائق الشيطان. كما انشغل بالولد المخطوف من أبيه الفقير وصعوده من لقيط إلى صحفي مكافح في المنادي.

وفجأة يعود الصراع بين المفتري والفقير من جديد حينما يصر الفقير على التقدم للترشيح إلى عضوية مجلس الشعب للدفاع عن الفقراء ويفوز بالتزكية لأن منافسه قتل فأصبح فـائزاً بالتزكية. ونسى المؤلف أن لا فوز لمرشح بالتزكية لأنه يجب أن يخوض الانتخابات ويفـوز بعشر عدد الأصوات في الدائرة الانتخابية لكن المؤلف أدخل الفقيـر مجلـس الشـعب دون انتخابات وكأن القصة حدثت منذ زمن بعيد مع أن من الظاهر أنها تحدث في الزمن الحاضر. بل لم يفكر المفتري أن يدخل منافس له يقع تحت سطوته وينافس الفقير في الانتخابات. كمـا يعود الصراع بين المفتري والفقير في تمثيلية المنادي حينما يخرج المفتري من السجن بعد أن كفر عن جرم قتل خطأ لكنه لا ينسى الرغبة في الانتقام فيلفق لابن الفقير جريمة قتل في بيته لا ينجو منها إلا حينما تشهد زوجة المفتري أن ابن الفقير كان في بيت المفتري.ولم يكن فـي بيته وقت ارتكاب الجناية.والغريب في الموضوع أن الابن المخطوف يستمر كارهـا لأبيـه الحقيقي ماشياً في ركاب الذي أمر بخطفه. وأن يعود الحارس إلـى إجرامـه ويسـتر علـى المفتري رغم توبة الحارس السابق.

وتنتهي تمثيلية حدائق الشيطان بتوبة المفتري وحرق المخدرات لأنه سوف يتعرض لعملية قد يخرج منها منتقلاً إلى رحمة المولى تعالى. أما الثاني فلم يتب إنما قبض عليه لأنه أجـرم للمرة الثانية والثالثة ولم يفكر في التوبة فحق عليه العقاب.

الدنيا لا زالت مقلوبة

مؤلف تمثيلية قلب الدنيا وواضع حوارها يتلافى ما حدث من خلط بين اللغات في تمثيلية أماكن في القلب فكانت لغة الحوار – مهما كانت جنسية المتكلم – باللغة العامية المصرية. وكان الحوار في تمثيلية أماكن في القلب مرة باللغة الأمريكية ومرة باللغة العربية ومرة ثالثة باللهجة المصرية. وكان الأمريكي يتكلم باللغة المصرية والأمريكية في تمثيلية أماكن في القلب فهل كان ذلك استعرض لقوة اللغة لدى المؤلف. أما في هذه التمثيلية فقد كانت اللهجة المصرية هي السائدة حتى العراقيون والأمريكان يتكلمون اللهجة المصرية الدارجة. فيما عدا ممثل واحد خلط بين اللهجة اللبنانية واللهجة المصرية ولا أعرف السبب في ذلك. مع أن بقية اللبنانيين في المسلسل كانوا يتكلمون اللهجة المصرية الدارجة.

ولم أفهم معنى الاسم: هل هو قلب الدنيا بمعنى دولة من الدول قد تكون العراق أو تكون مصر هي قلب الدنيا أي مركزها أم أن المعنى أن الأمريكان جاءوا إلى العراق فقلبوا الدنيا. وهذا ما فهمته من بطلة المسلسل وهي تلقي خطبة عصماء في نهاية المسلسل.

وقلب الدنيا مسلسل يتكلم عن الصراع بين الأمريكان بعضهم مع بعض داخل العراق. أو الأمريكان مع العراقيين. أو العراقيين مع العراقيين وتدخل الآخرون في الصراع مثل المصريين والسوريين والعرب واللبنانيين.

وقد تكون قصة المسلسل وطنية بالفعل تدافع عن حق العراقيين في مقاومة الغازي الذي يدنس أراضيهم لكن قد لا يعجبك ما في لغة الحوار من خطابة لدرجة أن الإنسان البسيط قد لا يفهم ما يقوله الفلاسفة الممثلون.

وهناك نقطة ضعف في المسلسل حول تمويل هذه الجماعات التي تسفك الدماء بلا مبرر فهي تسفك دماء العراقيين وتدعي أنها تحارب الأمريكان فمن الذي يمولها ؟ ..وكيف يصل السلاح إليها ؟. . ربما لأن المؤلف لا يعرف لذلك أخفى ذلك الجزء من المسلسل مع أنه هام.المشاهد يشاهد عمليات قتل واختطاف ومقاومة. ويسمع عبارات خطابية والدنيا لا تنقلب. مع أن المسلسل يركز على قلب الدنيا، فلا زالت أمريكا تحتل العراق ولا يزال العراقيون يقاومون وهناك من يقتل العراقيين ولا نعرف السبب.

الكتف الأيمن

أصبت في يدي اليمنى بكسر في الكتف.أفقدها القدرة على العمل. ولعل الأصحاء لا يعرفون فائدة اليد اليمنى فكل شيء يعمل باليد اليمنى. قال الدكتور الأول أن الجبس سوف يستغرق على الكتف زهاء أحد وعشرين يوما. غير أن الكف تورم بسبب احتباس الدم في اليد. وأضطر الدكتور الثاني أن ينشر الجبس القديم ليضع بدلا منه جبساً جديداً حتى يتمكن الدم من التدفق ولكن الجبس الجديد كان أثقل من القديم. واستمر الألم وقال الدكتور الجديد إن الجبس سوف يستمر حتى مرور ٤٥ يوما.وبشرتنا دكتورة قريبة لنا أن الجبس قد يستمر أكثر من ذلك. وقد نتج الكسر عن تعثر القدم في سلك الهاتف فسقط الجسد على الأرض فانكسر الكتف الأيمن.

وكنت قد ذهبت مضطراً إلى الساحل الشمالي ولم أبرح الشقة ولم أذهب إلى البحر ولما عدت كان قد مضى أكثر من شهر فذهبت إلى طبيب ثالث فقرر أن يرى الكسر والكتف لا يزال في الجبس وقرر بعد أن فحص الأشعة أن يأمر الممرضة بخلع الجبس وإطلاق الكتف. ولما شعرت بأن مكان الكسر لا يزال مشدوداً رجعت له فتهكم وقال لي ماذا تنتظر من كسر أن لا يتألم. ذهبت إلى طبيب رابع استشارياً من الدرجة الأولى في اليوم التالي فقرر أن الكتف لم يكن في حاجة إلى جبس وكان الالتئام سيحدث. وأن الألم والشد سوف يستمران لمدة شهر آخر.

لم أتمكن أن اقرأ الجرائد إلا الصفحتين الأولى والأخيرة أثناء الجبس. وعرفت عن أسر الجندي الإسرائيلي بواسطة حزب الله واتهام بعض الدول لهذا الحزب بالرعونة والتسرع وكأنهم نسوا أن هناك حربا بين الحزب وإسرائيل وأن إسرائيل أسرت من اللبنانيين الكثير فهل حرام على حزب الله أن ياسر وحلال على إسرائيل أن تخطف من اللبنانيين من تشاء. وكما يقال في قانون العقوبات أن العقاب الذي ينزل على الجاني يكون مناسباً للجريمة. غير أن إسرائيل لا تهتم بذلك المبدأ فأوقعت بلبنان عقاباً ساخناً بهدم البيوت وقتل الأطفال والنساء والشيوخ المدنيين وكأن ليس هناك قانون دولي يحرم هذه الأفعال. وشجعتها على ذلك رائدة الحرية في العالم ولم توافق على وقف إطلاق النار. فماذا يفعل حزب الله الذي دخل الحرب السادسة مع سفيرة الحروب في العالم والتي لا تهنأ إلا إذا لم ترتكب في كل يوم جرما حربيا. والغريب أن بعض المعلقين كانوا ينتظرون من أيهود أولمرت وهو المدني أن يقلع عن الحرب وينحو منحى السلام لكن التعطش إلى سفك الدماء يجري في عروق الإسرائيليين كلهم لا فرق بينهم أي سواء كانوا من العسكريين أو من المدنيين.والواضح من هذه الحرب الدائرة بين حزب الله وإسرائيل أن إسرائيل لم يكن يهمها استرداد الجندي أو الجنديين المخطوفين إنما

كانت تبيت النية في حرب تهد فيها لبنان عن أخرها حتى يمكن أن تسود الجزء الجنوبي منها لكن حزب الله كبدها من الخسائر ما يفوق خطف جنديين . فهل في ذلك عقل ؟ ..
أعتقد أن فرصة تحقيق تعطش لسفك الدماء قد حانت انتهزتها إسرائيل لسفك دماء اللبنـــانيين كلهم وليس دماء المحاربين من حزب الله. وبينما إسرائيل تحارب لبنان بلا هوادة ، كانـــت الكرات البيضاء تحارب الكسر بلا توقف . وبينما لبنان يخرج من الحرب مثخنـــاً بـــالجراح تخرج اليد اليمنى من الجبس ملفوفة بالألم.

الكتابة عن المشاهير

كان لي رأي ولا يزال أن الكتابة عن المشاهير المعاصرين والذين لم يمض على وفاتهم أكثر من خمسين سنة أمر لا يجوز لأنه من حقهم ألا يطلع أحد على أسرارهم وللورثة أيضا صيانة سرهم. وإذا كان المؤلف يطمع في الكتابة عنهم سواء كتاب أو قصة أو رواية أو تمثيلية سهرة أو تمثيلية إذاعية أو تمثيلية تلفزيونية مسلسلة فلا داعي لذكر أسمائهم الحقيقية ولا الأغاني التي كانوا يغنيها هؤلاء المشاهير ولا الأحاديث التي أدلوا بها. ويجوز للمؤلف في هذه الحالة أن يشطح بخياله ويتصرف بحرية في الأحداث التي حدثت فيما عدا الأحداث التاريخية التي كانت قائمة وقت أن كانت الشخصية المشهورة على قيد الحياة. فمثلا في تمثيلية العندليب كان من الممكن أن يسمى البطل اسماً آخر غير عبد الحليم حافظ. وكذلك الحال في تمثيلية السندريلا، فكان من الممكن تسمية البطلة باسم غير سعاد حسني. حينئذ لم يكن للورثة مقاضاة المؤلف أو المنتج أو المخرج لأن الأسماء الحقيقية لم تذكر. كما يمكن للمؤلف أن لا يتقيد بما حدث إنما قد يضيف إليه أو يحذف منه. وذلك بقصد التمويه والبعد عن الحقيقة. ولا ينسب أبداً إلى الكتاب أو الرواية أو التمثيلية أنها تتصل من قريب أو بعيد بالشخصية المشهورة. حتى لا ينبري أحد الورثة مطالباً بتعويض عما حاق بمورثه من أضرار.

قد يسأل سائل وكيف يتم جذب الجماهير إلى المسلسل ولا صلة له بالمشهور؟ .. الواقع أن روعة القصة وأداء الممثلين وروعة التصوير والإخراج سوف تكون الطريق إلى جذب المشاهدين فتمثيلية حدائق الشيطان قيل أنه تدور حول تاجر للمخدرات مشهور ولم يذكر اسم التاجر ولا الملابسات التي كانت حول القصة الحقيقية ولا المكان الذي حدثت فيه ولا حتى الزمان بل تصرف المؤلف ليجعل من القصة الحقيقية قصة أخرى لا صلة لها بالواقع.

وقد أشار مخرج سكة الهلالي في نهاية أسماء الممثلين والعاملين بالمسلسل بأن الأسماء التي وردت بالمسلسل لا صلة لها بأسماء أناس حقيقيين حتى لو تشابهت وبذلك يتلافى المخرج والمنتج القضايا والمناقشات الحادة بشرط ألا يكون العمل مقتبساً من كتاب آخر متداول في سوق الكتب.

أما الكتابة عن المشاهير من أهل الزمن الماضي فلا غبار عليها بل تذكر أسماؤهم ويشار إليهم بوضوح لكن ذلك بشرط أن تكون الكتابة صادقة وإلا تعرض المخرج والمنتج إلى النقد. وذلك الصدق قد يرفض من أهل المشاهير المعاصرين لكن مادامت قد مرت عليه خمسون سنة فلا جرم في الموضوع.

السيادة للإعلانات

كان الموعد مع النجم الكبير الساعة الثامنة مساء بتوقيت القاهرة في إحدى الفضائيات.غير أن البرنامج لم يعرض في موعده. استمر الإعلان وراء الإعلان حتى تسلل الملل إلى نفوسنا. ورغم أن البرنامج مسجل غير أن عرض الإعلانات استمر حتى الساعة الثامنة والثلث مساء. ثم استقبلت المذيعة النجم بالموسيقى والفتيات الحسناوات وعاتبته على التأخير كأن البرنامج على الهواء وليس مسجلاً. وكانت المذيعة قد قدمت النجم من قبل لمدة خمس أو سبع دقائق. فلم تقدمه من جديد ثم بدأ عرض البرنامج على الفور. وما كادت تتكلم معه عشر دقائق حتى عادت الإعلانات . وتكرر ذلك الموقف عدة مرات تتكلم مع النجم عشر دقائق ثم إعلانات عشرين دقيقة كأن البرنامج للإعلانات وليس للنجم. ولما أصابنا الملل قررنا أن ننتقل إلى قناة فضائية أخرى أثناء إذاعة الإعلانات فوجدنا القنوات الأخرى تعرض إعلانات كأنها اتفقت جميعاً على إذاعة الإعلانات في وقت واحد. وعدنا من جديد إلى القناة التي يظهر عليها النجم فوجدنا الإعلانات قد انتهت وتعرض القناة مقتطفات من حديث النجم في الأيام المقبلة.

ولو تم حساب دقائق الحلقة لأتضح أنها استغرقت ثلاثة أرباع الساعة والإعلانات قد حصلت على ساعة وربع الساعة. ويبدو أن هناك اتفاقاً بين أصحاب الإعلانات والقناة الفضائية بإذاعة الحلقة تتخللها هذه الإعلانات الكثيفة. ولا مانع من عرض الإعلانات لكن لا تكون بهذه الغزارة. ويعطل المشاهد نفسه عن رؤية الأهم. وهكذا يضيع على المشاهد ساعة وربع في إعلانات لا فائدة منها وكان يمكنه أن يشاهد شيئاً مفيداً كأخبار الصراع بين الشيعة والسنة في العراق.من السهل الانتقال إلى فضائية أخرى لكن من الصعب التنبؤ بوقت انتهاء سيل الإعلانات في القناة المشاهدة من قبل للعودة إليها حتى لا يفوت على المشاهد برنامج النجم.

لا بد من أن يكون هناك ميثاق شرف بين الفضائيات المختلفة تتعهد به أن يكون الإعلان الذي يتخلل البرنامج لا يزيد عن خمس دقائق وأن عرض البرنامج يمتد ربع ساعة لتأتي بعده الإعلانات. أما بهذه الطريقة فالأمر لا يطاق ويعد استغلالاً لوقت المشاهد لا يجوز. لكن كيف يمكن أن تعاقب القناة لفضائية على إخلالها بهذا لميثاق. لا أعتقد أن أحداً يمكنه أن يعاقب الفضائية إنما الأمر راجع إلى ضمير المسئولين عنها.

ولعل هناك قنوات فضائية سوف تقول: من يريد البرنامج القصير مع الإعلانات الكثيرة أهلاً وسهلاً. ومن لا يريد فأهلاً وسهلاً أيضاً. ومادام أن البرنامج لا يموله أحد فتموله الإعلانات ويكون لها السيادة.

تخصص ملل

كنت أعتقد أن التمثيلية المسلسلة: بنت بنوت التي تعرض على إحدى القنوات الفضائية سوف تنتهي عند الحلقة الثلاثين. –كما هي عادة التمثيليات هذه الأيام – لكن امتدت التمثيلية إلى ما بعد الثلاثين.

ويبدو أن المؤلف – رحمه الله – لم يجد حوادث تذكر في المسلسل فأخذ يبتدع الحوادث البعيدة عن صلب موضوع المسلسل. أو لعله المخرج وهو كما يبدو قريب المؤلف ففي الحلقات الأخيرة لم يجد المخرج شيئاً يقوله فطفق يقيم حفلة لعودة حسن كفتة من السجن وهو أحد أبطال المسلسل واستغرقت الحفلة كل الحلقة بل استمرت في الحلقة التالية. والغريب أن الحفلة التي أقيمت على شرف حسن كفتة تبعث على الملل ليس فيها فن ولا إبداع مجرد رجال تهتز وترقص وترفع يدها بعصا وتخفضها. شيء يبعث على الملل وأي ملل.

ولما لم يجد المخرج حوادث يصورها أخذ يجعل البطلة أو البطل أو أحد الشخصيات يسهم وقد يبتسم وقد يتأمل لمدة طويلة حتى أن الشخصية لا تكلم نفسها ولا تعلن عما في باطنها ولم تبتسم ولم تتألم.

وفي مرة أخرى يجعل البطل يصعد السلم درجة بعد درجة في تأن ولا ندري ما هي الدراما في هذا الصعود. أو يجعله يطلب شيشة من الصبي الذي يعمل بوكالته ويدور بينهما حوار لا صلة له بالموضوع.وكأنه يقول لنا إن الواقع نفسه لا داعي أن يكون له صلة بالموضوع.ويخترع شخصيات ليس لها في الدراما مكان. أو يجعل أحد الشخصيات يجري في ملعب من الملاعب عشر مرات ويلهث ويتعب ويأمره رئيسه باستمراره في الجري.هل هذا هو فن التطويل نتعلمه ؟..

هذا الملل يجعل المشاهد يقفل التلفزيون ولا يستكمل المسلسل أو يحول إلى قناة أخرى لينعم بتسلية أمتع. وإذا بدأ المخرج حياته العملية بهذه الطريقة فسوف ينأى عنه بقية المنتجين وسوف يقولون عنه أنه تخصص ملل.

استغلال السن

خرج مع أقرانه يتفرج على الدنيا. البيت ليس بعيداً ويمكن أن يعود إليه بسيارة أجـرة. لا يعرف ماذا يبيت له القدر. يصادفه سائق سيارة أجرة عجوز ملئ بالطمع ولكنه لا يدرك ذلك فهو ليس خبيراً بدروب الحياة ومسالكها، قضى وقتاً طويلاً في بلاد عربية ليس مـن بينهـا مصر. وقع في مصيدة السائق الذي وعده أن يصله إلى بيت جديه. ولأنه ليس خبيراً بالحيـاة وقع في مصيدة السائق فأطاع تعليماته ووافق على توصيله للبيت بشرط الدفع مقدماً.يعطيـه عشرة جنيهات ولا يرد السائق الباقي إلى الفتي الغر وينتظر منه أن يعطيه الباقي عند نهايـة المسافة، فالمشوار لا يستحق الدفع فيه أكثر من جنيهات ثلاثة. ولكن السائق لا يبالي. يطمـع السائق في الجنيهات العشرة ولم يتجه إلى بيت الفتى داخل مدينة نصر واتجه إلـى طريـق حلوان.هذا ليس طريقنا. . أنا ذاهب إلى حلوان. إذن أعطني الجنيهات العشرة لأنزل. أنـزل ولن تأخذ شيئاً. ماذا يفعل فتي تجاوز السادسة عشرة بشهور مع سائق غير محتـرم تجـاوز الخمسين. وماذا لو طلب منه المزيد من النقود. بهذه الطريقة لن يصل إلى البيت. إذن نزلني من سيارتك. أنزل. أعطني الباقي . لن أعطيك شيئاً. الحمد لله أنه غادر السيارة وبحث عـن سيارة أجرة أخرى يكون سائقها بعيداً عن النذالة واستغلال السن الصغيرة.

توصيه جدته ألا يدفع لسائق الأجرة نقوداً قبل أن يصل إلى المكان الذي يقصده. وأن يكون معه جنيهات: " فكة " لا أن يدفع له عشرة جنيهات ثم لا يسترد شيئاً.

أين المروءة لدي عجوز يستضعف فتي صغيراً ؟.. وماذا يحدث لو لم يكن مع الفتى غير الجنيهات العشرة التي سرقها العجوز ؟..أيعود ماشياً وهو لا يعرف الطريـق إلـى البيـت. ويعتمد على سائق السيارة الأجرة.

ولأن ذلك نوع من تدليل الصغار خاصة أن الفتى لا يعرف الطريق فمن الصعب أن تقنع الجدة أن تمنعه من الخروج وحده.. والفتى الساذج كان ينتظر معاملة حسنة من السائقين. لكن هناك كثيراً من النصابين يستغلون أمثال هذا الفتى الصغير، لذلك يجب الحذر. وعـدم تـرك الأمر على الغارب خاصة مع الفتية الصغار.

الشرطة لا تعمل ليلاً

لا تعمل الشرطة ليلاً لذلك المخالفات كثيرة.

إما أن سائق السيارة يضئ النور المبهر فلا يرى من هو أمامه سواء كان الطريق مزدوجاً أو غير مزدوج. أو لا يضئ النور على الإطلاق وعلى السائق المواجه أن يحذر فقد يصطدم به. وفجأة قد يضئ النور المبهر حتى يقول لك إنه هنا وخذ بالك ثم يعود يطفئه.وقد تتفاداه وتقول ربنا ستر.

والنصيحة المثلي أن لا تسير مسرعاً في الشوارع الجانبية لأنها مليئة بالمطبات وغير مضاءة ويمكن أن تتعثر في مطب فتتلف سيارتك. والناس ترتدي ملابس سوداء أو كحلية وتمشي وسط الشارع . لا أهمية عندها أن تصطدم بها سيارة أو لا تصطدم فلا يوجد قانون يلزم المشاة أن يضعوا لمبة على رأسهم. وإذا لم يضئ السائق سيارته فسوف يرتطم بهم المساكين أصحاب الرداء الأسود.

الشوارع الجانبية أكثرها غير مضاءة. أو تجد أنوارها غير مجدية في تلمس الماشي أو السائق الطريق لذلك عليه أن يمشي بحذر حتى لا يصطدم بإنسان أو يصطدم بسيارة. أما أن يمشي فوق الرصيف فذلك من المستحيلات لأن الرصيف مزدحم بالفتارين والباعة الجائلين بجانب أنه قد يكون مهشماً. والحذر واجب لدرجة أن يسير أصحاب السيارات كالسلاحف البرية.ولكن هيهات أن تنصح.

سألني حفيدي: ما السبب في هذا الإظلام ؟..

قلت: يبدو أن الحكومة ليست لديها مال لإصلاح الشوارع وإنارتها الإنارة الكافية. كما يبدو أن أصحاب السيارات خاصة سائقي سيارات الأجرة يوفرون في الإضاءة أو أن أنوارهم الخافتة لا تعمل ولا يستطيعون شراءها لذلك يطلقون النور المبهر لحظة حتى يتأكد من في المواجهة من وجودهم. أو ليس لديه مصابيح للإضاءة ولا يشتريها لأنه مكلفة. وإذا سألته وما الداعي للتجول ليلاً بالسيارة فيقول لك: وأنت مالك أنت.

ولو كانت الشرطة تعمل ليلاً لأوقفت هؤلاء الذين يضيئون سياراتهم إضاءة مبهرة أو لا يضيئونها بالمرة. ونقترح ترميم الأرصفة حتى يمشي الناس عليها ولا يمشون في عرض الشارع. وكذلك يبلغون عن هذه المطبات غير الشرعية الموجودة في أنحاء كثيرة من القاهرة والجيزة. ولم أر البلاد الأخرى منذ زمن ولعلها لا تختلف عن القاهرة في هذا الصدد.

فقدت الأمل

كنت قد فقدت الأمل في نشر الكتب التي أكتبها، ومن بينها ستة كتب كانت قد أعدت للنشر كتبتها أثناء عملي في المملكة العربية السعودية في الرياض. ولم يتسن لـي نشـرها. ولمـا رجعت إلى مصر نهائياً فقدت الأمل نهائياً في طباعة أي كتاب على حسابي الخاص بسـبب ارتفاع ثمن الطبع ورقدت المخطوطات في مكتبتي. كما ترقد الكتب الأخرى التي طبعتها على حسابي الخاص في مخازن الموزعين حتى أن اثنين من الكتب أفلس الـذي يقـوم بـالتوزيع واختفى وبحثت عنه دون جدوى لعلي استرد البقية الباقية من النسخ ولم أتمكن. فكـان بـلا عنوان لمكتب أو لبيت.

ولم أذكر الكتب الراقدة في مكتبتي وهي مكتوبة على الآلة الكاتبة بالحاسب الآلي. لكن لـم يكن لها ما يسمى ديسكت.ولم يكن لدى الوقت حتى أن اكتبها من جديد وأحفظها على الحاسب الآلي أو أحفظها على ديسكت. ربما بسبب الكسل أو الانشغال بكتابة الجديد الذي يمر بفكري.

أما الكتب الأخرى التي كتبتها وكانت لها ديسكات فقد أعطيتها لشركة تعمل في الإنترنـت ونشرتها بالفعل.ولم أكن الوحيد الذي نشرت له إنما هناك أسماء كثيرة لكن لم تنتشر مثلما لم تنتشر الكتب المطبوعة ولكن على الأقل هي متنفس للكاتب أن يرى اسمه على الإنترنت.

وأنا أعرف أسباب عدم الرواج أو الانتشار فهي ترجع إلى النسبة العالية من الأميين سواء في مصر أو في الوطن العربي بل إن نسبة الذين لا يقرءون كبيرة هي الأخرى لذلك لم أحزن ولن أحزن.

وحدث بث الأمل من جديد في نشر الكتب الستة المركونة حينما عرفت أن هناك آلة فـي الحاسب الآلي يمكنها أن تنقل المكتوب إلى الحاسب الآلي وهي عملية تسمى باللغة الإنجليزية scanning وقد وافقت الشركة على إجراء هذه العملية على الكتب وتحويلها إلى كتب يمكـن أن تقرأها على الإنترنت.

حمدت الله على أن هذه الكتب سوف ترى النور أخيراً. وليس المقصود من النشـر بهـذه الطريقة الانتشار أو الشهرة. إنما المقصود هو حفظ هذه الكتب في الذاكرة بحيث لا يهملهـا وارث أو يلقى بها في سلة المهملات وحتى لا أجد من ينشرها من الورثـة أو حتـى يكـون متحمساً لنشرها ولكن ليس لديه القدرة على نشرها.

سياسة العقاب

عقاب الأب الذي ترك ابنه يضيع في الشوارع لن يجدي. أولاً لأن الأب سوف ينكر أنه ترك ابنه ليعيش في الشوارع. وسوف يصدقه القاضي لأن الصغير غير مصدق والكبير هو المصدق. وحينما يقول الكبير لم يحدث وهو الذي ترك البيت وبحث عنه ولم يجده فلن يتمكن القاضي أن يثبت أن الأب قاس لذلك ترك الصغير البيت أو يثبت أن الأب طرده بالفعل.

وثانياً لأن الصغير لن يرشد عن أبيه الذي طرده أو ترك البيت بسببه إنما سوف يدعي الجهل بمكان بيت أبيه أو أمه وأنه هجرهما وهو صغير فلا يذكر شيئاً عن ذلك البيت.

وثالثاً لأن لا عقوبة بلا نص ولا يوجد هناك نص يعاقب الأب ولا حتى يعاقب الابن أو البنت على هجره بيت أبيه. وإذا عرض الموضوع على مجلس الشعب فسوف يدفن حياً لأنه يحتاج إلى تمويل كبير والدولة غير قادرة على ذلك التمويل.

ورابعاً ليس من المعقول معاقبة الأب وترك الصغير في الشارع دون رعاية.إنما يجب إقامة مؤسسة لرعاية هؤلاء الأطفال. وإذا تم عقاب الأب وكان عائلاً فهل سنترك أولاده الآخرين الذين لم يهربوا منه إلى الشارع دون عائل. يتضورون جوعاً ويذهبون بأقدامهم إلى الشارع. لقد صادفت مثل هذا الحكم في القانون الأردني بمعاقبة الأب الذي يترك ابنه يتسرب من التعليم وانتقدته ولكن لا أعرف ما إذا كان مطبقاً أم لا حتى الآن.

إن عقاب الأب لا يفيد إنما تكافل المجتمع هو المفيد. وذلك التكافل يأتي من إنشاء جمعيات رعاية الأطفال المشردين.وتكون مهمة هذه الجمعيات في كل محافظة إيواء وتغذية وتعليم وتدريب ورعاية صحة الأطفال المشردين و اليتامى. وعدم معاملتهم كمجرمين إنما كبشر عصف بهم الزمن وتأخذ الجمعيات بأيديهم حتى تقذف بهم إلى نهر الحياة العملية فيتمكنون من السباحة بفضل ما لديهم من مهنة تعلموا وتدربوا عليها تعينهم على مقاومة الفقر. وتمكنهم من إيجار شقة صغيرة تأويهم وتكوين أسرة سعيدة لا تطرد أولادها أو يهجرونها أو يحدث لها تفكك بسبب أن التجربة السابقة تحول بينهم وبين ذلك.

إن سياسة العقاب في بعض الأحيان لا تفيد بل تضر. وهي تضر الأب لأنها تحبسه وتحول بينه وبين العمل وتمنع عن أسرته الموارد المالية التي كان يأتي بها. وهي تضر الأبناء لأنهم صغار السن لا يستطيعون العمل ولا يسند إلى الصغار إلا العمل الشاق وهم غير قادرين عليه فتذوب بذلك إنتاجيتهم ويصلون إلى الرجولة أو الأنوثة وقد أجهضت قوتهم الإنتاجية ويقال عنهم في هذه الحالة أنهم مهدمون كارهين للمجتمع.

إن خير من العقاب هو ارتقاء المجتمع والارتقاء يأتي بالتضامن والتكافل من خلال جمعيات جادة تسعى لخير المجتمع والأخذ بيد الصغير قبل الكبير. ويكون عمل الجمعيات الخيرية لهؤلاء الفتيان والفتيات المشردين في الشوارع والحواري الترغيب لا الترهيب. وإذا ما دخل الصبي أو الصبية المؤسسة برغبته صار يجد المأوى والمأكل والملبس والتعليم والتدريب حتى يبلغ أشده.وحينما تعرف جدية الجمعية فسوف تنهال عليها الإعانات من كل فج. كما أن الدولة نفسها يمكنها أن تساهم في تمويل تلك الجمعيات حرصاً على أمن المجتمع وسلامته.

الفقر الدستوري

عجبت لقول الدكتورة / ليلى تكلا في أهرام ١٩ /١٢ / ٢٠٠٦ أن من الناس من يعاصر تعديل الدستور أكثر من مرة. . والواقع أن مواليد ١٩٢٠ حتى ١٩٧٣ عاصروا دساتير كثيرة عُمل بها وأُلغيت. فهناك دستور ١٩٢٣ ودستور ١٩٣٠ ولو استمروا في الحياة لعاصروا دستور الثورة المؤقت ١٩٥٣ ودستور ١٩٥٦ ودستور الوحدة بين مصر وسوريا في عام ١٩٥٨ ولحقوا دستور ١٩٦٤ ثم دستور ١٩٧١. ولكان من بينهم من شاهد التعديلات التي تلت تلك التواريخ. فكيف تقول الدكتورة أن من الناس من لا يعاصر تعديل الدستور أكثر من مرة. ربما من ولدوا بعد عام ١٩٧٣ لم يعاصروا الدساتير السابقة وعمرهم الآن ٣٣ سنة. ولكنهم لا شك عاصروا التعديلات الدستورية التي حدثت في عصر حكم السادات والتعديلات الدستورية التي حدثت في حكم مبارك.

وفي نفس الصحيفة في نفس اليوم يتحدث الدكتور / إسماعيل سراج الدين عن الفقر. وقال إن الفقر له أنواع ولا يقتصر على الفقر الاقتصادي فهناك الفقر السياسي والفقر الاجتماعي والفقر الأخلاقي. ولم يذكر شيئاً عن الفقر الدستوري (ولعله يدخله في الفقر السياسي).

وأعتقد أن من مظاهر الفقر الدستوري هو أن تكون النصوص في واد والتطبيق في واد آخر. مثل الخصخصة والاشتراكية. فقد يقول قائل إنهما لا يختلفان. مع أن من أولى مبادئ الخصخصة أن هذا المشروع ملكي وليس ملك الجميع. وأولى مبادئ الاشتراكية أن كل المشروعات ملك الجميع وليست ملك أحد.

ومن مظاهر الفقر الدستوري هو النص الدستوري على توزيع السلطات واجب. وفي نفس الوقت تتجه النصوص إلى تركيز السلطات في يد سلطة واحدة هي السلطة التنفيذية. فالسلطة التشريعية لا تشرع إلا إذا أمدتها السلطة التنفيذية باقتراحات نصوص القوانين ولا سبيل إلى تعديلها إلا بموافقتها. والسلطة القضائية تابع للسلطة التنفيذية وليست مستقلة عنها.

ومن مظاهر الفقر الدستوري هو النص على مذاهب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو فلسفية في صلب الدستور. ثم يأتي العمل بما يخالف هذه المذاهب نتيجة تطور الأوضاع والملابسات والضغوطات فلم لا يلجأ المشرع الدستوري – منذ البداية – إلى استبعاد مثل هذه المذاهب وبذلك يكون الدستور مرناً يتطور لا يرتبط بمذهب معين.

وليس من قبيل الارتباط بمذهب معين أن تكون النصوص من قبيل أن يكون الحكم رئاسياً أو برلمانياً أو مدنياً أو ليس عسكرياً فذلك لا صلة له بالمذاهب الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى الدينية. إنما له صلة بنظام الحكم وهو من صميم النصوص الدستورية.

ترجمة اللهجات المحلية العربية

شاهدت على قناة فضائية تمثيلية مغربية في جزئهـا الأخيـر تـدور حـول الجماعـات الإرهابية. وليس هذا ما يعنيني. إنما ما يعنيني هو أنها كانت مترجمة إلى اللغة العربية مـن اللهجة المغربية. إذ كيف يتسنى للبناني أو السوري أو المصري أن يفهم ما يقوله الممثلـون المغاربة. ولو أن من الممكن التمعن في اللهجة لكن سوف يفوت المشاهد كثيراً من المشـاهد لذلك تم اللجوء إلى هذه الترجمة. إن ترجمة اللهجة المغربية جعلتها سـهلة الفهـم وجعلـت المشاهد يتتبع التمثيلية وينشد إلى الأحداث والحوار بذلك صار واضحاً.ولا يختلف ذلك عـن ترجمة اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية لمن لا يعرفونها في المسلسلات الإنجليزية والفرنسية والأمريكية.

فلم لا نتبع ذلك في التمثيليات السورية واللبنانية والخليجية. كل ذلك سـوف يـؤدي إلـى التقارب بين البلاد العربية. وبالتدريج سوف تعي الشعوب لهجة بعضها البعض.

ولعل السبب في عدم عرض التمثيليات السورية واللبنانية والخليجية والتونسية والجزائرية والمغربية في القنوات المصرية هو أن اللهجات غير مفهومة. أو من الممكـن فهـم بعـض أجزائها وعدم فهم الباقي وتبدو أجزاء منها غامضة على المشاهد. فلـم لا نلجـأ إلـى هـذه الترجمة في عرض التمثيليات.

كنت أعمل في المملكة العربية السعودية وكانت تعرض هناك تمثيليات من كافـة الـبلاد العربية كالخليجية والكويتية والإماراتية وكذلك التمثيليات السورية واللبنانية ونادراً ما كانـت تعرض التمثيليات التونسية أو الجزائرية أو المغربية لصعوبة فهم اللهجة. لكن كثيراً ما كانت تعرض التمثيليات المصرية ربما لسهولة فهم اللهجة الدارجة في مصر. وكانت تلك التمثيليات تعرض دون ترجمة أي باللهجة الخاصة بكل بلد. وكان المرء يحاول أن يفهـم فـي بعـض الأحيان ما يقوله الممثلون. ويجد صعوبة في فهم البعض منها.والتمثيليات العراقية – كانـت تعرض قبل عدوان العراق على الكويت – فلا نشاهدها بسبب اللهجة لم تكن مفهومة.

والآن وقد بدأت ترجمة اللهجات المحلية في الظهور فأهلاً بها. ولعلها تكون خطوة نحـو تقصير المسافات بين العرب من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي.

ملكيون أكثر من الملك

حينما قال الأمين العام المساعد للمحامين العرب في برنامج في قناة فضـــائية أن رجـــال التربية والتعليم ملكيون أكثر من الملك لم يكذب. فقد تناول الرئيس حسني مبـــارك موضـــوع الطالبة آلاء فرج الطالبة بالسنة الأولى بمدرسة شربين بصدر رحب. ولم يأمر بفصلها. ولـــم يأمر بإعادتها السنة الدراسية. ولم يأمر بدخولها دور ثان في اللغة العربيـــة. ونجحـــت آلاء بحصولها على ٤٤ درجة من ٦٠ درجة في اللغة العربية. وانتقلت إلى السنة الثانية الثانوية.

وكما قالت المذيعة اللامعة إذا كانت آلاء قد تجاوزت في موضوع الإنشاء وانحرفت عـــن الخط المستقيم فلم لم يقم المصحح بإعطائها تقدير صفر وصحح بقية ورقة الإجابة.

لم هذا العقاب غير المناسب للمخالفة ؟ ..

نتعلم في كلية الحقوق أن العقاب لو كان شديداً لا يتناسب مع الجرم الذي ارتكبه الفاعـــل فإن ذلك العقاب يكون قاسياً وظالماً. وذلك مثل عقاب الصحفي بالسجن لجريمة مـــن جـــرائم النشر. وحتى تشديد العقوبة بوضع غرامة مالية عالية على الصحفي لن يفيد لأن الصحفي لن يكون في مقدوره أن يدفع الغرامة فيتم حبسه مقابل عدم دفع الغرامة المالية.

كان من الممكن في حالة التلميذة التي كتبت موضوع إنشاء لم يعجب السيد المصـــحح أن يقدر لها درجة وبعد ذلك يلفت نظرها إلى ضرورة ألا يكون موضوع الإنشـــاء فيـــه بـــذاءة مستقبلاً دون أن تحدث هذه الضجة الكبيرة في الإعلام.

أعتقد أنه خلال السنوات الدراسية المختلفة يكون من واجب المدرســـين تـــذكير التلاميـــذ والطلاب مراعاة الآداب العامة والنظام العام. ويتم لفت نظرهم إلى ما ينص عليـــه القـــرار الوزاري رقم ٤١ الصادر سنة ٢٠٠٠ في مادته الرابعة حتى لا يحدث أن ينحرف تلميـــذ أو طالب في مواضيع الإنشاء.

ومادام أن رجال التربية والتعليم يصرون على تطبيق تلك المادة بحذافيرها حتى لـــو أدت إلى هدم مستقبل جيل بأسره فأهيب بالمحامين الذين كانوا سيدافعون عن آلاء أن يطالبوا بعدم دستورية هذه المادة حتى لا يتخذها رجال التربية والتعليم وسيلة لفصل التلاميـــذ أو إعـــادتهم للسنة الدراسية أو حتى إعادة الامتحان في المادة التي شطحوا فيها. وذلك لمخالفة هذه المـــادة لحرية التعبير وهي حرية تمارس سواء داخل المدرسة أو خارجها.

محكوم عليهم بالفقر

معاش الضمان الاجتماعي مئة جنيه لا غير. فماذا يفعل بها المرء ؟..

إن الإنسان الذي يتقاضاها لا يمكنه أن يعلم أولاده، فمطلوب منه على الأقل ثلاثين جنيهـا في السنة (هكذا اكتشفت الوضع عند زيارتي لمدرسة ابتدائية للحصول على توقيـع وخـتم مديرية التعليم لاستخراج بطاقة لحفيدي) فإذا كان من يتقاضى المعاش لديه أربعة أولاد فـي المدارس فعليه أن يخصم على الأقل مئة وعشرين جنيها سنويا من ١٢٠٠ جنيه. فماذا يتبقى له ليأكل ويشرب ويسكن ويشترى الصحف (لو كان يقرأ) والأدوية ؟ ..

ليس عليه أن يمرض ولا يمرض أحد من أفراد أسرته وإلا لم يستطع أن يشترى الـدواء ويخصم ذلك من مئة وعشرين جنيها. وإذا أكل هو وأولاده فلا يأكل إلا القليل كأنما لا يجوز له أن يأكل فهل يقدر ؟.. ولن يقرب اللحم ولا الدجاج ولا السمك إنما قد يأكل النباتات فقـط ذات السعر المنخفض أي الخضار الرخيص وأين يباع ذلك الخضار ؟.. كان يقال إن الفقيـر يأكل البتاوي والمش والبصل. وارتفع سعر البصل وصار في مقدور الطبقات العالية شـراؤه دون الطبقات الدنيا.

وإذا ما كان عليه أن يسكن فعليه أن يسكن في البيوت القديمـة ذات الإيجـارات الزهيـدة وليس عليه أن يشاهد العمارات ذات الطوابق حتى لا يتحسر لأن سكنها سوف يكلفـه مـا لا طاقة له به وسيضطر أن يدفع إيجار شقة ولن يرى الزاد هو وأولاده لخمسمائة سنة .ولكن ما الذي حكم على هذا الشخص ألا يعمل ويتقاضى معاش الضمان الاجتماعي ؟..

الحاجة هي التي دعت إلى ذلك.

مرض عضال لا يمكنه أن يبرأ منه أقعده عن العمل.

حادثة قطعت أطرافه وهو في عز شبابه وهو صاحب أسرة عليه أن يصرف عليها.

أرملة زوجها منعها عن العمل ومات ولم يترك وراءه شيئاً ولم تعمل ولم تتقن حتى الخدمة في البيوت وطفقت تنجب كالأرنبة فماذا تفعل بعد أن توفى بعلها ؟..

مطلقة رماها زوجها دون نفقة ولا أمل لديها أن تحصل على نفقة ولم تجد أحـداً يعطـف عليها إلا الدولة.

بلوغ سن يدنو فيه الإنسان من الموت. فهل يتسول أم يتقاضى ذلك المعاش الضئيل ؟..

تصل الأسر المستفيدة نحو مليون ونصف المليون فكم يبلغ عدد الأفـراد الـذين تظللهـم المعاشات. إنهم قد يبلغون أكثر من خمسة ملاين فرد. غير أن هؤلاء الذين لا يعلمون شـيئاً عن استحقاقهم لهذا المعاش أكثر من هذه الملايين.

هل من الممكن أن نقول إن هؤلاء قد حكم عليهم بالفقر ؟ ..

إن من واجب الدولة والأفراد القادرين تدريب هؤلاء (إن أمكـن تـدريبهم) أو تـدريب أولادهم على مهن يتمكنون من دخلها سد النقص في المصاريف دون أن يحاسبهم القانون على العمل وتقاضي المعاش في نفس الوقت أو عمل أولادهم مع استمرارهم في صرف المعـاش. وهو عبء على الدولة لكنه في النهاية لصالح المواطن وأبناء المواطن وصالح الدولة نفسـها فهل مثل ذلك الحل سليم أم نحكم على أصحاب ذلك المعاش بالفقر الأبدي.

معنى الاستبداد ومظاهره

الاستبداد هو أن تفرض رأيك على سلوك ومسار الجماعة لذلك فالاستبداد السياسي هو فرض رأي الحاكم على سلوك الشعب ومساره. والاستبداد الإداري هو أن بفرض الرئيس رأيه على المرؤوسين له بشرط أن يكون فرض رأي الحاكم على الشعب ليس في صالح الشعب وفرض رأي الرئيس على المرؤوسين ليس في صالح العمل.أما إذا كان الرأي متفقا مع وجهة نظر أغلبية الجماعة والمرؤوسين فليس هناك استبداد.

ومن مظاهر الاستبداد هو أن يأتي الحاكم بوزراء لا شعبية لهم ولا يعملون لصالح الشعب وهو عنهم غير مبال. وقد يأتي الوزير بما يضر الشعب والمستبد لا اهتمام عنده. كما أن المستبد قد لا يقتصر على اختيار وزراء لا يرضى عنهم الشعب إنما يفرض على الشعب ممثلين له لا يرغب الشعب أن يمثلوه. وإذا كان اختيار الممثلين بالتعيين فهو يختار من يروق له ويرفضه الشعب وإذا كان الاختيار بالانتخاب فهو يفرض أشخاصاً ليختارهم الشعب سواء تم ذلك بتوجيه للناخبين ويستسلمون له وإلا مست أرزاقهم بسوء أو بتغيير النتائج بما يسمح بتصعيد الذين يؤازرهم حزب الحاكم.

ومن مظاهر الاستبداد أيضاً أن يتم فرض القاعدة أو الرأي على الشعب ولو كان لا يستسيغ هذه القاعدة أو ذلك الرأي. ولا يسمح الحاكم بمناقشة. وإذا سمح بالمناقشة فإن ذلك للتنفيس وليس لتعديل القرار السياسي المزمع إصداره. فما في ذهن المستبد هو الذي سيقوم ولو تجمعت هذه كل هيئات الشعب.والدليل على تحريم مناقشة القرار السياسي يتمثل في تحريم هذه المناقشة والزج بالمناقش في المعتقل. أما لو كان الحكم لطيفاً بالعباد فهو يسمح بالمناقشة لكن لا يأخذ بما أسفرت عنه حتى لو كانت النتائج لصالح الشعب.

الاستبداد بالديمقراطية

هاهو مستبد آخر يموت ولم يمسسه أحد. لكن يموت بعد عزله ومحاولة مقاضاته. وخصومه يفشلون كل مرة بسبب تقدمه في السن. ويثور أنصاره بهدف دفنه بما يليق به. وأعداؤه يتظاهرون ضد هؤلاء المتظاهرين. والشرطة تقوم بالتفريق بينهما بخراطيم المياه والغازات المسيلة للدموع لصد المتظاهرين لمنعهم من المضي في المظاهرات.والمتظاهرون يرشقون الشرطة بالحجارة والزجاجات الفارغة.

كان مستبداً وقتل الآلاف لكن لا يزال له أنصار. هذا المستبد عصف بالديمقراطية وجاء إلى الحكم بانقلاب عسكري. وعاث في الأرض فساداً. ولم يقتنع يوماً بالديمقراطية. وبالقرب منه كان هناك من يملك صفاته ويريد أن يحكم بالاستبداد لكن نفذ إلى الحكم بطريقة ديمقراطية ثم استعمل الأساليب المستبدة في الحكم، وعلى رأسها الإنفراد بالرأي وتنفيذ مقترحاته ولو على حساب الشعب. والقيام بالحروب حتى لو لم يوافق عليها الشعب. ودخل الحرب ولا ناقة له ولا جمل فيها. أو بالأحرى لا دبابة ولا رصاص له فيها.

لقد استمر بيونشيه ثلاثة عشر عاماً في الحكم بلا ديمقراطية وهاهو بوش يستمر في الحكم ثماني سنوات ويدعي أنه يطبق الديمقراطية. وحينما تمكنت الديمقراطية من فرض نفوذها انكشف استبداده وسوف يتجمد سنتين إلى أن يرحل عن البيت الأبيض الذي دهنه بالسواد.وكان الأجدر أن يستقيل من منصبه اعترافاً بهزيمته وهزيمة حزبه.

لقد دخل بوش العراق غازياً بزعم أنه ينقذها من الاستبداد فوضع فيها بذرة الاستبداد الطائفي. وكان يمارس في بلده استبداداً من نوع آخر هو استبداد الأغلبية وكلا النوعين هو استبداد ولو أنه يأتي بالانتخاب والديمقراطية منه بريئة.

المشكلة هي كيف تقتنع الأغلبية أنها على خطأ وأن الأقلية هي التي على الطريق الصحيح ؟.. هل يجب أن تنتظر الجماهير حتى تصبح الأغلبية أقلية وتصبح الأقلية لها الأغلبية أم أننا يجب أن نتنبه إلى صواب رأي الأقلية حتى تأخذ به الأغلبية القائمة ؟..لماذا تتصرف الأغلبية كأنها ملكت الحكمة وحينما تتقلص وتصبح أقلية تقتنع برأي الأغلبية الجديدة بل لا تقتنع وإنما تناوئها في بعض الأحيان ؟..

المشكلة تحل بالحوار المستمر. الحوار الجاد المقنع الموضوعي. حوار الردح والمصاطب والألفاظ البذيئة لا يفيد في السياسة إنما يجب أن يكون موضوعياً وتوصياته موضوعية ولها أسانيدها. وتكون الحجج لا شخصية ولا تعتمد على الإثارة وإشعال العواطف والمشاعر.

لا ميراث للإناث في الصعيد

ما زال أهل الصعيد – أو بعضهم – لا يورثون الإناث في تركة المتوفي. يرفضون بإصرار وبشدة أن تؤول ملكية الأرض أو العقار للإناث في تركة المتوفي .. فما السبب ؟..

من أين استقى أهل الصعيد تلك القاعدة التي تحرم الإناث من حقهن في تركة الأب أو الأم أو الأخ أو الأخت وهي مخالفة للشريعة الإسلامية ؟.. هل انتقلت العادات الجاهلية مع الإسلام من شبه الجزيرة العربية ؟.. وكيف سمح الإسلام لها حتى تتغلغل في عادات الشعوب وتقاليدهم أم كانت موجودة قبل الإسلام واستمرت إلى يومنا ؟..

والقصة تبدأ برجل من أهل الصعيد مات عن ثلاثة من الأبناء وثلاث من البنات فاستبد الأخ الأكبر بالتركة كأنه لورد بريطاني تؤول إليه كل التركة ويتفضل على الورثة بريع الأرض والعقار. ولم يكن التفضل إلا بالفتات. ترملت الأخت الأولى فصرف عليها ولم يعطها نصيبها في تركة أبيها ولم تكن قادرة على العمل لأنها بلا مهنة فاستسلمت. وماتت الثانية فآل إليه نصيبها لا ينازعه فيه إلا الأخوة الذكور. أما الثالثة فقد طلقت ولا سبيل أمامها إلا الدخول تحت لواء الأخ الأكبر حتى يتولى الإنفاق عليها. ولا حصة لها في ريع المباني أو الأطيان التي تركها لها أبوها. ورفضت الانضواء وفضلت أن تبقى بعيدة عن العائلة مع أولادها. حرمها الأخ الأكبر من حقها في الريع والتملك. وهو سبيلها إلى الإنفاق على نفسها ومساعدة أسرتها الصغيرة. حقاً يتكفل المطلق بأسرته لكن في حدود فامتهنت مهنة لا تدر عليها الكثير ولكنه كان كافيا لسد الرمق فلا يعايرها مطلقها بأنه يصرف عليها وعاشت مع أبنائها. لكن المهنة معرضة لانتكاسات من حين لآخر وتضطرها إلى التسول من أخيها الكبير وهو يرفض ويريدها أن تدخل تحت عباءته.ما لم تقبل الانضواء تحت جناحيه فلا سبيل أمامها إلا التسول من الغير وهي ترفض التسول. وتعتز بحريتها. غير أن المرض الشديد ألم بها وتأبي التسول من أخيها لأنه سيسلبها حريتها ويضعها في البيت كقطعة أثاث. طالبته بحقها في ميراث أبيها لإجراء عملية جراحية تتكلف الكثير غير أنه اشترط أن يدفع لها على أن تعود إلى البيت بعد إجراء العملية وتبقى فيه لا تخرج إلا مضطرة وحتى يضمن ذلك فكان على ابنها الكبير الفالح – عكس ابنه الفاشل – أن يحرر صك أمانة بالمبلغ الذي سوف تقترضه والدته وإذا نكثت بوعدها في البقاء في البيت – بيته – حبس ابنها لأنه لن يستطيع أن يدفع ما عليها. ولعله يضع ذلك الشرط لأنه يعرف أنها بعد إجراء العملية الجراحية لن يتمكن من حكمها ولذلك يعرض ابنها الكبير لخطر الحبس حتى ترضخ له.ولم تقبل الشرط.

من أين استمد ذلك الصعيدي هذا الاستعلاء على خلق الله والتنكيل بالإناث ؟.. هل يأتي يوم يعرف فيه أن القرآن الكريم ورّث الذكر مثل حظ الأنثيين وأن الإناث يرثن في تركة الأب ؟..نصحتُ المطلقة الوارثة لعلاج نفسها على نفقة الدولة. وطالعت في الأهرام في ١٢ / ٢ / ٢٠٠٧ أن هناك سبعة آلاف قرار علاج على نفقة الدولة يومياً دون وساطة أو محسوبية فقد تستفيد المطلقة المريضة المحرومة من ميراثها من هذه القرارات بالعلاج المجاني وكأن الدولة تعطي درساً لهؤلاء المتعجرفين أن لا قيمة لامتناعهم عن منح الإناث حقوقهن. هل يرقد والد هذه المطلقة المريضة سعيداً في قبره من قيام ابنه الكبير بحرمان الإناث من ميراث أبيهن ؟..

مواصفات الخبير

يتساءل الأستاذ / جلال عامر في صحيفة القاهرة في ٢٧ فبراير ٢٠٠٧ عــن مــا هـــي المؤسسة أو المعهد أو الجهة التي تجعل المواطن خبيراً حتى يتقدم إليها ويحصل على اللقب.

وأقول له إن لا معهد هناك أو مؤسسة لمنح ذلك اللقب. إنما هو تراكم سنوات الخبرة فـــي عمل ما يساعد في منح هذا اللقب للشخص. وسنوات الخبرة قد تزيد على العشرين ســنة أو الثلاثين سنة حتى يُستحق ذلك اللقب. ويجب أن يكون العمل فيه المهارة التي تجعـل الغيـر يسعى إلى الممارس لا أن يسعى إليه. فإذا كنت مشتغلاً في الصحافة مثلاً فقد تقضي أيامك في كتابة المقالات ويتهافت عليك رؤساء التحرير بينما آخر يكتب المقالة فتصحح لــه أو تكـون مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية وقد تنشر المقالة وقد أزيلت منها هذه الأخطـاء لكنهـا لا تستلفت القارئ. فهل يعد ذلك خبيراً في شئون الصحافة ؟..

وقد تعمل سنوات معينة في أحد مراكز البحث والدراسة وإذا مضى عليك عدد من السنوات وأنت باحث ثم ترتقي لتصبح خبيراً وبعد تراكم عدد آخر من السنوات تكون كبيـر خبـراء. فسنوات الخبرة هي المحك في الوصول إلى اللقب. ولا يمكن أن تصل إلى هذا اللقب بالأقدمية إنما قد تصل إليه نتيجة مجهود شاق وأبحاث متعمقة ودراسات واسعة شاملة حينئذ تستحق هذا اللقب.

في الحكومة مثلاً لا يوجد مثل هذا اللقب إلا في مراكز البحوث. وفي الـوزارات يكـون هناك باحث وكبير للباحثين ويمكن أن يلقب بلقب خبير أو مستشار لكن لا يصل إليه إلا حينما تتراكم لديه سنوات الخبرة.

لكن في مراكز البحوث والدراسات فإن هذا اللقب موجود لكن من باب التباهي يمكـن أن يلتقطه أحد الناس وينادي به شخصاً يعمل في ذلك المركز مثلما يقال للعريـف يـا حضـرة المساعد. وإذا لقب أحد من الناس بلقب خبير فلا ذنب له .. لا ذنب لهذا المرء أن أحداً يلقبـه بالخبير. ومن أمثلة ذلك أن ينادي سايس الجراج (أو المرآب حتى لا يقال إنني لا أعـرف الترجمة اللغوية للجراج) يقول السايس يا بك ويا باشا. مع أن الألقاب ألغيت منذ زمن بعيـد فهل ذنب المنادى باللقب أن يستهزأ به ؟..

وقد عمل كاتب السطور خبيراً في تخطيط القوى العاملة زهاء عشرين سنة لكن بمجرد أن ترك الوظيفة لم يعد يستعمل هذا اللقب وأصبح يكتب. أما وظيفته الحالية: كاتـب وروائـي. ويسأل أحد الأحفاد ساخراً. تعمل كاتباً عند من ؟.. دائما السخرية ولا ذنب للشخص فـي أن أحداً يناديه بهذا اللقب.